

بسم الله الرحمن الرحيم



كلية الدراسات العليا

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات



كتاب (عهد الشباب) لمؤلفته فيرا بريتن

ترجمة الصفحات (15- 71) من اللغة الإنجليزية إلى اللغة  
العربية

**Atnasnlation of Pages (15-71) of the Book Entitled (Testament of Youth)**

**By : Vera Brittain**

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة

ترجمة الباحثة:

مشاعر إسماعيل محمد البكري

إشراف:

د. محمود علي أحمد

2018



الاستهلال

قال تعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ (٢٢)

صدق الله العظيم

سورة الروم: ٢٢

## Preface

Quranic Verse

Allah the Almighty said :

{And of His signs is the creation of the heavens and the earth and the diversity of your languages and your colors. Indeed in that are signs for those of knowledge.}

Surah Ar-Rum : Verse no. 22

## الإهداء

(وقل اغمضوا قلوبكم ورسول الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥))  
صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ..  
ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله  
.. إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من افتقد وجوده دوما ويرتعش قلبي بصوته الساكن رוחي  
يا من أودعتني لله أهديك هذا البحث

أبي

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أعلى الحبايب  
أمي الحبيبة

إلى من عرفنا معه معنى التحدي أخي ورفيق دربي وأبي الثاني  
أخي مجاهد

إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة وسرنا الدرب خطوة بخطوة والعمر بما فيه وبه  
وما زلن يرافقتني حتى الآن  
أخواتي إيمان .. احسان .. راوية

إلى من أرى التفاؤل بعينيها .. والسعادة في ضحكتها  
ابنتي أسيل

الي من يقاسمني المسير والحياة  
زوجي

## شكر و عرفان

اللهم لك الحمدُ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، الشكر لله تعالى الذي وفقني ويسر لي إتمام هذا الجهد الأكاديمي. ثم أتوجه بالشكر والثناء إلى مشرفي الدكتور محمود علي أحمد ، الذي له الفضل- بعد الله تعالى- على حُسن إرشاده وثاقب توجيهاته طيلة فترة هذه الدراسة فله مني الشكر كله والتقدير والعرفان.

وأقدم بشكري الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم علي بقبول مناقشة هذه الرسالة، فهم أهل لسد خللها وتقويم معوجها وتهذيب نتواتها والإبانة عن مواطن القصور فيها، سائلة الله الكريم أن يثيبهم عني خيرا.

## الفهرسة

	البداية
i	الإستهلال
ii	الإهداء
iii	الشكر والعرفان
vi	الفهرست
1	مقدمة الباحث

## الجزء الأول

2	الفصل الأول . مُرسلة من نيو كاسل
36	الفصل الثاني . سيدات الريف الشابات

## مقدمة الباحث

هدفت هذه الدراسة من ترجمة هذه الصفحات من كتاب *Testament of Youth* لمؤلفته *Vera Brittain*، إلى عكس ما احتواه هذا الكتاب . من ذكريات الكاتبة والاحداث المعاشة أبان فترة الحرب العالمية الأولى ، أيضا عكس الحياة الإجتماعية للطبقة المتوسطة ، اهتماماتها ، الاخلاق ،المُثل الاجتماعية ، السياسة ، ومناداتها بالنسوية وكيف اصبحت داعية للسلام . إستخدمت الباحثة الأسلوب السهل الممتنع والذي يميل إلى عكس ونقل المعنى العام للنص الأصلي إلى اللغة المستهدفة ، وفي هذا إستفادة من نوعية الترجمة الحرة والأدبية وكذلك الحرفية عند الضرورة . واجهت هذه الدراسة بعض العقبات ممثلة في العبارات والمصطلحات التي تمكنت الباحثة من إجتيازها رجوعا لبعض المعاجم أو عن طريق محرك البحث قوغل بالرجوع الى اصل الكلمة ، والرجوع لمحرك البحث قوغل للتعلمق اكثر في الحقبة الزمنية والأحداث التي ارتبطت بها ذكريات الكاتبة لتمكنها من فهم احساسها وإدراك تصويرها للمشاهد .

## الجزء الأول

منذ وقت طويل عاش هناك تاجرٌ غني، بجانب امتلاكه الكثير من الكنوز أكثر من أي ملك في العالم، كان لديه بداخل بهوه الكبير ثلاث كراسي، واحد من فضة، واحد من ذهب، وواحد من الماس. لكن ثروته العظمى من كل ذلك بنته الوحيدة، والتي كانت تدعى كاثرين. في أحد الأيام كانت كاثرين جالسة في غرفتها الخاصة حينما فُتح الباب فجأ، لتجيء سيدة طويلة وجميلة تمسك بيدها دولاب صغير.

"كاثرين، قائلة، وهي تتجه ذاهبة نحو الفتاة، أيهما تفضلين - بهجة الشباب أم سعادة الشيخوخة؟"

"تفاجأت كاثرين فلم تعرف بماذا تجيب، فأعدت السيدة مرة أخرى: "أيهما تفضلين - بهجة الشباب أم سعادة الشيخوخة؟"

"فكرت كاثرين بين نفسها: "إذ قلتُ بهجة الشباب، ثم كان عليّ بعد ذلك أن أعاني بقية حياتي ؛ لا، سأتحمل المشكلة الآن، ولدي شيء أفضل اتطلع إليه. ثم نظرت إلى أعلى قائلة" إعطني سعادة الشيخوخة.

"إذاً ليكن، قالت السيدة، وأدارت دولابها وهي تتحدث ثم اختفت في اللحظة القادمة فجأة كما جاءت.

"الآن هذه السيدة الجميلة كانت ذات المصير البائس كاثرين"

حكايات صقلية، لـ لوراجونزن باتش

(مضمنة في كتاب الجنية الوردية أعد بواسطة أندرو لانق)

## الفصل الأول

### مُرسلَةٌ من نيوكاسل



## جيل الحرب: مرحباً

في المدن وفي القرى الصغيرة حيث وُلدنا  
والبلدات الصغيرة خلف ناقلات الزمن؛  
حُقبه مُبهمة سخرت من فجرنا البريء  
بواسطة جلجلة الإيقاع العسكري  
ولم يخيل لنا في تلك الساعات الحلوة اللطيفة  
المحنة المهددة التي تنتظر أقدامنا  
المغامرة بشكل صارخ  
لذلك بدأنا، وسط الأصداء المضطربة  
مروراً بطفولتنا من حرب سابقة،  
غامضة جداً، ومنسية في الحال أيضاً، والأحلام  
بالسعادة المتلاشية والتي كانوا آمنون بها؛  
بينما هناك هلاك قريب يرتقب خارج الباب،  
ليشاهد جيلاً نما غصاً؛  
فالمصير الذي أمسك شبابنا في حدود سلطته،  
ينتظر الساعة.

( ف . ب 1932 )

( 1 )

عندما اندلعت الحرب العظمى لم تكن تعني ليّ مأساة فائقة، لكنها كانت أكثر أنواع العرقلة المستفزة لخطي الشخصية.

ولشرح سبب تلك النظرة لأكبر كارثة تاريخية، من الضروري جداً العودة قليلاً للوراء ولو لفترة من الزمن بقدر ما كان في التسعينات السافلة، حيث تفتحت عيناى على يوم غير واعد جداً. في الواقع ؛ لمن الشرف مشاركة روبرت جريفز التفاصيل المبكرة لذكريات طفولتي والتي كانت كما يراها طفل صغير، أعلام ترفرف في شوارع ماكليسفيلد إحتفالاً باليوبيل الماسي للملكة فيكتوريا.

لحسن الحظ ليست هناك حاجة لمحاكاة وداعي المعاصر لكل أولئك المسافرين الذين لا يزالون يريدون العودة إلى العصر الفكتوري الرتيب من القرن التاسع عشرة، لأنه لم يكن هناك

مجموعة من الأسلاف يمكن أن تكون أقل وضوحاً أو أكثر صرامة "تافهة" أكثر مني. بالرغم من أنني ولدتُ في "عقد الموف" وذرورة إنتشار الكتاب الأصفر والقرنفل الأخضر، وأنا على ثقة بأن أي من اقاربي لم يسمع ما كتب ماكسبيربوهام أو أوبري بيردزلي، وإن كان بالفعل اسم أوسكار وايلد يوقظ ردة فعل في أذهانهم لم يكن إعجاباً بأعماله ولكن لعدم رضاهم عن أخلاقه.

انتقلت عائلة والدي من ستافوردشاير؛ في البداية ارتبطت أسماء المكان بذاكرتي الطفولية المهترئة بهذه "البلدات الخمس" وما يحيط بها من قرى — ستوك، هانلي، بورسليم، نيوكاسل، لونق بورت، ترنتام، بارلستون وأستون — وما زلتُ أتذكر تلك المشاهد في ذلك العمر المبكر، ومضات مقلقة من نافذة القطار ككومة أفران مشتعلة بغضب ضد سماء حالكة السواد بفصل الشتاء. الآن ومن قبل يرتبط منزلنا القديم في بارلستون بضخامة وهيمنة عائلة وودجود— حيث ولد والدي وأغلب إخوته الأحد عشرة وأخواته.

السجلات المتعلقة بأسلافي الأكثر بعداً قليلة، ولكن تظهر بأنه كان هنالك من الرأسماليين المحليين ونبلاء المجتمع المستقلين الغير مألوفين في مقاطعات وسط البلاد. كانوا يعيشون متجاورين في بويتريز لعدة أجيال ونتيجة لذلك فهم يُقدرون أنفسهم إلى حد ما على الرغم من أن لا وجود لدليل على أن أي منهم فعل شيئاً له أكثر من أهمية محلية. الجد الوحيد الذي سُجلت عنه وثائق لإنجازه في عائلتنا الصغيرة كان ريتشارد بريتين، فقد كان عمدة نيوكاسل أندرلايم في العام 1741م. والبعض الآخر معظمهم من صغار المصرفيين، و وكلاء الأراضي والصناعيين على نطاق الأسرة.

في العام 1855م، حين بلغ الازدهار الفكتوري أوجه متمثلاً في (معرض لندن الكبير) في عام 1851م، جدي الأكبر تولى عن وظيفته بمصرف خاص في نيوكاسل، واشترى طاحونة صغيرة للورق في بويتريز

من عائلة هو جينوت مستحدثي آلة الورق. بنهاية القرن ؛ تنامت شركتهالتي كان والدي شريك صغير بها، واكتسبت طاحونة أخرى صغيرة في البلدة المجاورة (ليك). من هذا العمل — والذي في العام 1889؛ فاتورته الأسبوعية للأجور أقل من 12 جنيه استرليني — منذ ذلك الحين استمدت الأسرة الجزء الأكبر من دخلها. كان والدي أحد المدراء الأربعة حتى تقاعدهخلال الحرب، وحتى أنا رأسمالي إلى حد امتلاك عدد قليل من الأسهم.

من تجربة جدي الكبير والتي توسع نموها الآن وازدهر اهتمامها في إنتاج بعض الأوراق الرفيعة الرائعة الصنع من معظم ما وصل إلى تاريخ الآن من آلياته، على الرغم من توقعات مديريها — الشرفاء، رجال الأعمال الأكفاء، الشركات المصنعة في شمال البلاد ك الروائية الداهية فيليس بنتلي — لا يزال أثرها بالإقطاع التجاري الخيري الهادف في أواخر القرن التاسع عشرة.

علم النفس الجماعي للحي في طفولتي يمكن استخلاصه في مقولة يُعبر بها كمثل في ستافورد شاير: "هيا بنا نذهب إلى ليك بعيداً عن الضوضاء". والدي في تلك الأيام، وحتى الآن ينظر إلى عضويتي في حزب العمال كغريبير فيع الثقافة، يستخدمها في كثير من الأحيان، فرصة للتبجح على زوار شركته 'لم يكن لدينا أبداً رجل نقابي في المكان'.

وحيث كان والدي، صاحب أفضل مظهر والأكثر حكمة، وقليل التعنت، لعائلة كبيرة، تزوج من أمي في العام 1891م، ضد رغبة أقاربه، لأنها لا تملك المال أو من سلالة عريقة، ولا لشيء لكنها خجولة ذات جمال حلو حزين شفع لها بدلاً من أن تكون ذات طبقة اجتماعية وريثة مُرتقبة لمقاطعة لذلك جدي لوالدي الذين يعيشون ازدهاراً لم يرو دون شك ملاءمتها لإبنهم الأكبر. فهي لم تكن غير المولودة الثانية والإبنة الرابعة لرجل موسيقي مكافح قادم من ويلز لأخذ موقع عازف بيانو في كنيسة ستوك أون ترينت.وبما أن ما يتقاضاه أجراً زهيداً لا يكفي إعالة زوجته وستة أطفال يكبرون، كان يُعطي دروس في الموسيقى والغناء، وما يُدفع قليلاً، فكان يؤلف الأغاني والمقطوعات للمتطوعين الذين لا يدفعون جميعهم.

وكأي رجل شاب ظن والدي جمال صوته لذلك أخذ بعض دروس الغناء ووجد الترحيب والاحترام من عازف البيانو؛ وهكذا التقى بأمي، فتاة استثنائية لطيفة رقيقة ذات واحد وعشرين عاماً، تحت رعاية أم أكثر حزمًا نحوها هي وأخواتها. بعد الزواج — والذي بالأحرى تم في سرعة وهدوء في ساوث بورت وذلك لوفاة جدي المفاجأة البكرة — أوضحت عائلة والدي أنه لا استعدادات، وأقصى ما تم زيارة رسمية من جانب والدته لها، ولعدد من السنين ظلت الأسرتين في العيش ضمن حدود من الأميال القليلة عن بعضهم البعض، ومن الصعب جداً التقاءهم.

حينما بلغتُ عمر الإدراك والمقارنة، استنتجتُ من مختلف النوادر المرتبطة بطفولتي وامي الحلو، وجود هذا الموقف من الإندراء منذ الوهلة الأولى من جانب أهل والدي نحوها. لعدة سنين ظلت كاللغز بالنسبة لي، منذ شبابي كنت شديدة الانتقاد لغالبية أقاربي من أهل والدي، بأثوابهم المتزمتة ولكنهم كحال سكان ستافوردشاير، مظهرهم المرعب والغير مناسب، بينما أخوات أمي كانوا جميعاً في طريقهم إلى العالم قبل فترة طويلة حيث كان الاستقلال مقتصرًا على نساء الطبقة المتوسطة، يمتلكن المظهر الجيد والقبول، وأصوات موسيقية أخاذة إلى جانب أذواقهن في اقتناء ملابسهن. لكن عندما غادرت المدرسة؛ باكراً تعلمت من تجربتي الوجيزة في الموضة " طقم " في بكستون إن تقدير الأسر الجوهري المهم ليس دائماً متعلق بالمؤهلات التي تحول فوراً إلى الشكل الخارجي باتجاه ذات وجهة النظر.

( 2 )

خلال السنوات الأولى لزوجهم، عاش والداي في نيوكاسل أندرايم ، بدأحياتهما سوياً مع سلسلة من المصاعب بعد فترة وجيزة من طفلهم الأول، صبي، الذي كان لا يزال وليداً، حيث واجه أبي تطور في التهاب الزائدة الدودية والتي أثبتت أنها غموض، محيره لصعوبة جاهزية جراحي القرية

في ذلك الوقت، فتركته مُنهك القوي قرابت أحد عشرة شهراً أخيراً، بل ، جعلت من إقبالي بإحتشام في فيلا صغيرة على طريق سيدماوث، ولدت على نحو عاجل ولكن بأمان خلال غياب والدي بمسرحية إيمائية في هانلي.

في الأوقات المبكرة من الحث نحو المطرانية، والتي تطورت مع المراهقة، أعتدت على الاعتقاد أن ضاحية ريفية كنيوكاسل لا يمكنها أبداً أن تقدم أي رجل أو امرأة ذو قليل منالنباهة ولديه ثقة الشباب التي تُفضل بشكل خاص أن تفيض في جني ثمرة النجاح بدلاً من حساب كلفته، فتكون عقلي بأسرع ما يمكن لإعادة إصلاح ذاك الإغفال. لكن في السنوات القليلة الماضية اكتشفت بشكل غريب؛ خلال فرصة ملاقاتي داخل العربة في الطريق إلى جنيف، أن تلك المدينة الصغيرة ستافوردشاير— أو بالأحرى، القرية المجاورة التي تسمى سيلفرديل— كانت على الأقل مكان ميلاد السيرجوزيف كوك، المفوضالرسمي لأستراليا، الذي خلال معرفتنا البسيطة ببعضنا في الاتحاد ذاك الصيف كان يخاطبي في اعتياد بـ "الصغيرة نيوكاسل".

كنتُ ابلغ من العمر ثمانية عشر شهراً قريباً حين انتقلت عائلتي إلى ماكليسفيلد، التي كانت ملائمومغ أن طريق الرحلة غير مريح جداً من بوتيريز.هنا، في الحديقة الصغيرة والحقل الملحقين بمنزلنا، ممراتمصقولة بشجيرات الشيشاير الجذابة تطوقها الأزهار البرية في رقة، أنا وأخي إدوارد، بعمر أقل من العامينمررنا بها في طفولتنا، بكل ما يظهر كانت طفولتنا هادئة خالية من الأحداث.

أول ذكريات لجيلي تتكون لا محالة من تلك التجربة التي ننتشاركها فيالشائع ، لأنها تنتمي لأحداث وطنية درامية، لأغاني، لمعارك ولغير المتوقع من نهاية التشويق للنضال الأكثر بُعداً وأكثر تعقيداً من تلك التي كان من المقدر أن نغمرنا. كمثل بقية المعاصرين، بدأت في مقارنة المجريات والتصوراتعن ذلك الوقت بعد انتهاء الحرب الكبرى في جنوب أفريقيا عند نهاية العام 1899م. قبل عام 1900م، وبالرغم منالجراك الحازم كان من الصعوبة أن أصف كمراقب واعي لما يظهر في الساحة .

حسب الضبابية التي تنبسط على سن الطفولة الغير واعية؛ "نحن جنود الملكة ، الفتيان " و" وداعاً عروستي، يجب أن أهجرك". لعضوء كان ظافراً لأداء أول هذه الألحان بشارع ماكليسفيلد في إحدى صباحات الربيع الباردة حين لاحظت الأعلام وأسارير الفرحتتدلى من كل النوافذ.

"بسبب الإغاثة لبلدة ليديسميث" معلله ردها على تساؤلي الحماسي أجابت أمي بذلك؛ "العم فرانك سيعود للمنزل الآن".

لكن العم فرانك – الأخ الأصغر لوالدي كان يعمل بالزراعة في جنوب أفريقيا عندما بدأت الحرب والتحق بقوات الملكة كشرطي – لم يعد أبداً إلى المنزل بعد كل هذا، لأنه مات بالمعوية في ليديسميث قبل وصول الإغاثة للبلدة بساعة ونصفالساعة.

بعد عام تقريباً كنتُ قد نسيتَه تماماً، بينما أجلس بكل سكون داخل مطبخنا الدافئ، أرسم عصافير، وتنانين وأميرات نوات شعر طويل، في حين أن السيدة العجوز الي جعلت من هذا اليوبيل الماسي ذي انطباعاً على إدراكي نو الثلاث سنوات دفنت ووارت الثرى رسمياً في قبرها. أمام المدفأة، قرأ الطاهي البدين جريدة المساء بصوت عال على خادمة المنزل، "الملكة نائمة الآن"، علقت في صوت أشبه بالحشرجة، بينما أنا منهمكة مع أقلام التلوين الخاصة بي غير مُدركة أنه أكثر من نهاية حكمها بكثير وأن ذلك العصر القديم المتألق المزهر حيث كان مولتي كان قد إنجلى في ثلاثون عاماً من وقت الانطلاق الذي له صدى على حياتي الشخصية إلى نهاية أيامي.

بعد ذلك بأسابيع قليلة فقط تراء لي، رغم أنها كانت في الحقيقة ثمانية عشرة شهراً، والهدنة مع جنوب أفريقيا قد وُقعت بالفعل، إذ إدوارد وأنا مجتهدين في تزيين السورالذي يفصل أسفل المرج عن حقل القش بالأعلام، عندما أتى والدي بخطى حثيثة مندفعاً بوجهه جزعوبيده جريدة.

"يمكنكم إنزالزينتكم" معلناً في حزن. "لن يقام حفل التتويج، الملكمتوعك!".

في تلك الليلة صليْتُ متضرعة إلى الله ليجعل الملك العزيز أفضل ويدعه ليعيش. حقيقة أنتماثله للشفاء لأمس في نفسي إيمانية مؤثرة في تأثير الصلاة، ذلك المعتقد بقي حتى أثبتت الحرب العظمى لي، مرة واحدة من كل ذلك أنه لم يكن هناك شيء في ذلك لأولئك الذين كانوا في العشرين أو أكثر وقت وفاة الملكة فيكتوريا، وعهد حكم إدوارد القصير – إلى أي مدى لا يعرف الكل زائراً إلى باريس وبياريتز عاملاً في مجيء الطغيان عندما حدث – يجب أن يبدو مجرد مساحة للتنفس بين العصر الفيكتوري والغزو الألماني لبلجيكا بالنسبة لنا، جيل الحرب كان أكثر بكثير من ذلك، في تلك السنوات التسع كبرنامج أطفال لمراهقين أو راشدين. بعد الملك نفسه لا أتذكر شيئاً بين هجوم الزائدة الدودية المفاجئ ومرثية الورع في أفضل طريقة فيكتورية والتي عرضتها في المدرسة عندما طُلب مني أن أكتب قصيدة في ذكرى وفاته.

( 3 )

ليس فقط باسمه، (غلين بانك – ضفة الوادي) ، وطلائه الأبيض شبه المنعزل، ولكن في إتباع لوحاته ونقوش ماكوس ستون، الستائر المخملية الفخمة، أثاثه الماهوجني وندرة الكتب، منزلنا بماكلسفيلد يجسد كل ما هو أساسي للطبقة المتوسطة في العصر الإدواردي. إتباعاً لقيم مديدة أسوة بجدي لأبي، نحن أيضاً ملتزمون بالصلوات قبل الفطور، أثناء أداء الكل – من ناحية أُمي القلقة لمشاهدة غليان آلة القهوة على الطاولة، إلى الخادمت اللواتي يتعثرن بشكل غير مريح في مقاعدهن أثناء طرق ساعي البريد بقوة على الباب الأمامي ودويّ باع الحليب في الخلفي – قدم مظهراً من التحريض اللامبالي للإثارة. قواعد السلوك في كثير من الأحيان تنتهي في انفجار غاضب من جانب والدي، بما أن إدوارد دائم التأخر، ولا يستطيع أبداً قول الصلاة الربانية بسرعة كما الآخرون. كسنة كان ما يزال يتضرع بصبر

إلى الإله لا ليقوده إلى عدم التوازن ----- ، بينما كان الباكون منا شاكرين في صخب "أمين".

بالرغم من أن والدي، كأبي رجل قوي الإرادة في الثلاثينات، كان قليل الخضوع لتلك النوبات الساخطة، صدقاً هي أبداً لم ترعيني لأنه كان دائماً بطل طفولتي، ويمكن الاعتماد عليه كالحصن الآمن ضد الإنقضاضات الكافية المازحة لإخوانه وأخواته الصغار، الذين يعتبرون الفتاة الصغيرة كلعبة عادلة لمهاراتهم الصلبة. أكثر ما يثير قلقي بكثير هو مزيج غريب من المخاوف الغير عقلانية والتي كانت دائماً تترقب إزعاجي - الخوف من الرعد، من الغروب، اكتمال القمر، من الظلام، من الوقوف أسفل الأقواس الحديدية أو عبور الجسور عبر التيارات القوية، من نهاية العالم وترقب الشيطان مطوقاً لي في زاوية (هذه الأخيرة ترجع لمربي التي أسمعتني لها بعمر الخامسة أو السادسة، منادية إدوارد "المغفل الصغير" وحالاً انتقدتني قائلة: "هذا، ولقد فعلت ذلك، ستذهبين إلى الجحيم الآن".

كان الآباء والمربيات في ذلك الوقت قد تجاوزوا مرحلة وضع الأطفال داخل دولا ب مظلم كـ "علاج" لهذا النوع من "الشقاوة" - مرة واحدة ارتكبت هذه الفظاعة على أُمي مما أثر على نفسيته سلباً إلى الأبد بعد ذلك - لكن مثل هذا الرعب لا يبين لهم فليس لديهم قاعدة أخرى لا تخلو من المعقولة، وأنا كنتُ "غافرة" لذلك التوبيخ. يبدو انه لم يكن هنالك أحد يمكنني أن أناشده من أجل ان يفهم الخوف المهين بذاته، شعوري الغريزي أنه لا أحد يكون إلى جانبي ضد الظواهر الغامضة التي تفزعني. منذ ذلك الحين كبرت دون أن يتم تبرير مخاوفي بالتفسير، حملتها معي، توجهت بها إلى الداخل لكني قليلاً جداً انتقلت إلى مرحلة البلوغ، وكان في وقتاً لاحقاً كان لدي سبب جيد للغاية للندم على أنني لم أتغلب عليها حينما كنتُ ما زلتُ طفلة.

على العموم، بالرغم من تلك المخاوف المتفرقة، فإن السنوات التي منحتنا إياها الحياة ممتعة بما فيها الكافية، وإن لم تكن صارخة بشكل واضح. لطالما كنت أتذكر، منزلنا دائماً ممتلئ بالموسيقى، مطلقاً لم تكن



في المقام الاول لكن متألفة النغمات، والغريب استمراريتها في القدرة على النجاة كأكثر ذكرياتي أهمية. ولإرتباك والدي، الذي حتماً لم يهتم بالموسيقى أبداً بالرغم من دروسه البكرة في الغناء، كان هناك دوماً نشاطاً للأغاني، أو المعزوفات المنفردة على البيانو، ولاحقاً التمارين على عزف الكمان، وفي ماكلسفيلد كانت أمي بشكل متكرر تعطي سهرات موسيقية لأبي منا أنا وإدوارد، في سن السابعة والتاسعة اعتدنا على الجلوس من أجل عزف ثنائيات رنانة معاً أو ثلاثية غير مؤذية مع مربيبتنا.

أمي، تمتلك صوت سبراي نو عذب، أخذت دروس الغناء في مانشستر؛ في الحفلات الموسيقية غنت "حينما كان قلبي شاباً"، "إهمس وسأسمع"، أو "الشاطئ البعيد" – مثال مطابق لثناء الملكة فيكتوريا التي دائماً ما تنزل دموعي عند تلك النقطة "عذراء سقطت وماتت". كنت أكثر تحفزاً من قبل "الشیطان روبرت"، وعندما تكون أمي، تحول ظهرها بسلام نحوي، مرددة، "الرحمة الرحمة! الرحمة!" بصوتها السبرانو المتوهج، أنغمس بنفسي صعوداً وهبوطاً بناء على خفقات قلبي في نشوة ماسوشية متحمسة.

معرفتي الأولى بالأدب كانت أقل إلهماً، كانت مكتبة والدي في ماكلسفيلد تتكون فقط من عدد قليل من الروايات ذات الخلفية الصفراء، اثنتين أو ثلاث كتيبات عن صنع الورق، ومجلد كبير بعنوان الطب المنزلي والذي كان عبارة عن توجيهات أخلاقية بدلاً عن صحية. خشية من أنه يجب أن يكون شخصاً في الأسرة أديباً، تم إخفاء هذه المجلدات تحت ستارة ثقيلة في معتمة باردة في غرفة الطعام، أخبر والدي ذات مرة أحد الناشرين المتجولين أن بلدات بوتيرز تمتلك أدنى سجل لشراء الكتب في إنجلترا. إنه ابناً حقيقياً لمنطقة، والتي تحظى باحترام كبير في "النحاس الأصفر" ولكن ليس لأي منتج آخر غير تجاري كالتصورات الشعرية، يظل مخلصاً له في شيشاير كما في ستافوردشاير لسمعة حية.

عندما كنت استنفدت أدب المربية الخاصة بي – وعدد قليل من مجلدات حكايات أندرو لانغ، إحداهن قدمتي في كل أعياد ميلادي، وبعض قصص الأطفال الأكثر ذكاءً لـ إيل تي. ميدا

تحولت خلسة إلى الروايات ذات الغلاف الأصفر. كانت هذه في الغالب لـ ويلكيكولينز، بيسانتو رايس، والسيدة هنري وود، وبالغ الدموع التي ذرفتها على أحزان البائسة السيدة فينش والسيدة إيزابيل فان.

لم يكن حتى وقت لاحق، في سن العاشرة، أنني أكتشفت الجاذبية المتنوعة لـ الصحة المنزلية. علاج الأمراض المعدية تركني فاترة، لكنني سرّاً كنت مُتحمسة لمشهد الحيض؛ كما وجدت تفاصيل الولادة أسره جداً، على الرغم من أنني لم أظهر أبداً ذاك التفاني للدمى التي من المفترض أن تشير إلى غريزة الأمومة القوية. جوهر الإنجاب ككل تم فصله تماماً بداخل ذهني عن موضوع الجنس، الذي كنت أعرف عنه القليل ومنعدمة الاهتمام به. وقد تأثرت بشكل خاص في ذلك الوقت بالتعليمات المعطاة للنساء الحوامل في مرحلة المخاض الأخيرة، على الرغم من أنني أستطيع الآن أن أتذكر فقط أنها تنصح بتجديل شعرها في ضفيرتين، وإرتداء ثوب نسائي قديم من الفنيل تحت ثوب النوم.

لا بد أن أكون في الثامنة حين اثنين من الكلاسيكيات الفردية – على الأغلب من هدايا عيد الميلاد المهملة – وجدت طريقها على طاولة بيضاء في غرفة الرسم. أحداها كانت القوائد الكاملة للونغفيلو، ملزمة في جلد الخردل البني، والأخرى نسخة لمائيو أرنولد سهراب ورستم. سرعان ما حفظت قصائد لونغفيلو – بما في ذلك "حكايات من نزل ويسايد" و"تراجيديا انجلترا الجديدة" – عن ظهر قلب، وحتى الآن، عندما أبحث من خلال ذاكرتي للحصول على اقتباس مناسب "الحياة جادة"، و"هادست لقد علقت، لا بد لي من الفرار"، سوف أصر على إبعاد أ. إ. هاوس مان وسيغفريد ساسون. لكنني أجد سهراب ورستم أكثر روعة من لونغفيلو، مراراً وتكراراً، عندما كنت على يقين من وجود غرفة الرسم لنفسني، كنت منغمسة في موهبتي التمثيلية التي استمدت الكثير من الرضا عن "الشيطان روبرت" بمحاكاته في صمت يظهر نوبة الألم لبؤس سهراب،

محبب الموت، على الرمال

فعلت أُمي ما هو أفضل لعلاج أوجه القصور في تعليمنا الأدبي

بالقراءة لـجكينز بعد كل ظُهر أحد بصوت عالٍ. ونحن نكبر من خلال ديفيد كوبرفيلد ونيكولاس نيكلباي بهذه الطريقة، والتي ربما تُفسر لماذا لم أكن قادرة على الانتهاء من أي شيء آخر لجكينز عدا قصة مدينتين.

الأكثر فعالية كتعويضات لعدم وجود حافز خارجي كانت الروايات الخمس التي كتبتها قبل أن أبلغ الخامسة عشر، نُظمت بصبر على كراسات خاصة من أجلي بواسطة مربيتي المخلصة والذكية من مخلفات الورق السميك للمصانع، والأساطير المنيرة لمجتمع أسطوري يدعى "ديكس"، التي من سريري في الحضانة الليلية اعتدت أن أحكيها لإدوارد عبر الممر في الحضانة بعد أن نكون من المفترض نائمين. كنت دوماً المبتكرة وهو المتلقي المستفيد من هذا التواصل الأسر، التي يجب أن بدأت عندما كنت في السادسة، واستمرت حتى وصلت سن الحادية عشر وذهبت إلى المدرسة.

دائماً ما كان إدوارد مستمعاً جيداً، حيث أن صورته الخاصة للتعبير عن ذاته تتألف في اختلاق روعي وبالنسبة ليّ أصوات لا معنى لها على كمانه الصغير. أتذكره في عمر السابعة، كصبي صغير مهذب، بُني العينين مع حاجبين جميلين يتقوس آخرهما، ولرضائي اللامحدود بدأنا استنساخهم، زوج من علامات الاستفهام مرهفة الحس فوق عينين شديدة السواد لإبني ذو الخمسة أعوام. حتى بمرحلة الطفولة كنا نادراً ما نتشاجر، وبحلول الوقت الذي ذهب فيه كلانا إلى المدرسة الداخلية، أصبح بالفعل أعز رفيق لتلك السنوات القصيرة من المراهقة المختلصة المسموح بها لإدانة جيلنا.

( 4 )

عندما كنت في الحادية عشر غادرتنا مربيتنا المحبوبة، وانتقلت عائلتي من ماكلسفيلد إلى منزل حجري رمادي شاهق في بكستون، دربي شاير " ينوع الجبل"، من أجل إرسالنا إدوارد وأنا إلى مدارس "جيدة". كانت مدرسة ابتدائية صغيرة كان فيها رجل قوي من بكستون آنذاك مديراً ؛ حتماً استخلصت وصف نفسها في

"مدرسة سليلات النبلاء". مدرسة أخي، التي قدمت له بالتأكيد أساساً أفضل مما تلقته أنا في مدرستي التي سوف ترتبط في ذاكرتي بتجربة واحدة كبيرة.

بعد فترة وجيزة من ذهاب إدوارد إلى هناك صادفته في طريقي إلى المدينة أثناء عبور ملعب المدرسة حيث كان الأولاد يستمتعون بعطلة ما بعد الظهر. رأيت إدوارد، فتوقفت؛ دعا العديد من أصدقائهم حديثاً، وقضينا بعض اللحظات الممتعة على الجدار المنخفض. لم يدركني أي شعور بالذنب، ولم اكن أدرك أنني قد شوهدت من قبل أمي وخالتي التي تمكث معنا، لدى عودتهن إلى المنزل على جانب طريق محاذي . وقت الشاي متناقل وجو استنكاري صعب على تفسيره معلق على الطاولة؛ بعد فترة وجيزة، انفجرت العاصفة والتويخ بشدة لسلكي المتمرد في التحدث علناً مع رفاق إدوارد.(اعتقد أنها ذات الخالة التي أبلغتني بعد ذلك أن السبب في إبقاء رسائلنا مفتوحة في مدرستي "في حال وجود أي فتيات يردان يكن آثما بتكثرتهن للصبيان". أكثر الظن هذا ما كان ينطبق على معظم مدارس الفتيات قبل الحرب).

كانت تلك الواقعة الصغيرة أول تلميح لي في أعين الجيل الأقدم، أن الارتباط الحر بين الفتيات والصبيان كان أكثر عيباً من هاجس اشتباه الاحتشام المفروض للجنس الآخر. أثار ذلك في نفسي استياء متمرداً لم أنساه أبداً في تلك الأيام، لم أسمع بمدارس التعليم المختلط، لكنني كنت أدرك وجودها التجريبي، لكنني تمكنت من التنبؤ بسبب أمومي البعيدة، على ما يظهر عليّ أن أقرر وقتئذ ، أن ابني أو ابنتي يجب إلحاقهم بها.

لا أتذكر الكثير عن مدرستي، عدا عند ذهابي إلى هناك أول مرة تعرضتُ لتنمر حاد من قبل فتاتين صغيرات غير محبوبات، اللتين سرعان ما سئمتا من بنيتهم الجسدية المميزة التي منحها لهم سنهم الأكبر وشكلهن، و عوضاً ذلك في محاولة تعذيب عقلي الغير ناضج بمواجهة مواد المعلومات الجنسية في أكثر أشكالها ثورة. والداي اللذان عانا من وخز الضمير

بشأن إلفتي الصافية مع رفاق إدوارد المشاغبين، غير مدركون كلياً لآثار ذلك التهديد الحقيقي لاحتشامي وسلامي. لم أذكرها لهم أبداً لتسببها لذاك الشعور المومع بالخجل، والذي لم يكن ، مع ذلك قد أثير عبر زملاء المدرسة في اتصالاتهم الغير محببة، لكن بعجزي عن كبج دموعي أثناء اعتداءاتهم الجسدية. بالفعل كنت طموحة جداً، وغير مبالية بالجنس في جميع مظاهره، لذلك جهودهم لإفساد ذهني تركته بريء كما وجوده، وكنثُ مستاءة فقط للسراقات ولوي الذراع والتي دوماً رافقت مجهوداتي في الهرب.

برغم أن مدرستي اتخذت بعض التلاميذ الداخليين، إلا أن معظم تلاميذها كانوا من المحليين، نتيجة لذلك كانت منافسة الفصل الدراسي عملياً غير موجودة. في سن الثانية عشر كنت أقوم بالفعل بالتزيين لفرط فرحي لغروري الصغير في واحد من أعلى أشكاله، حيث الفتيات المرحات اللواتي تتراوح أعمارهن بين السادسة عشر والسابعة عشر يعاملنني باستمرار كأعجوبة التي سرعان ما فقدتُ هذه القدرة الصغيرة كما كنت قد امتلكت التقدير لإنجازاتي البسيطة في قيمتها الحقيقية و المحددة.

عند ذهابي إلى المدرسة في المرة الأولى، كانت تحت إدارة مديرة مُسنة التي كانت نموذجاً للأرستقراطية ولا تملك شهادة ، لكن بعد ذلكتم تعيين مسئولاً جديداً بدرجة علمية غير مشكوك بها تحصل عليها من شلتنهام. في بكستون ؛ كان هذا يُعتبر مؤهلاً ملائماً لمديرة مدرسة، وفي تلك الأيام معايير والدي المتعلقة بالمنح على ذات القدر من الدقة. لم يكن لديهم أبداً في الواقع، الكثير من الفرص ليصبحوا غير ذلك، لأن والدي تلقى تعليماً متقطعاً وغير متشددة جداً، في حين أن والدي، بعد تفاعله مع طبيعة تسامح مكابرتة ضد صرامة مالفيرن في ستينيات القرن الماضي، قد تم إرساله إلى مدرسة ثانوية في نيوكاسل أندرلايم، حيث المهن الثابتة للبنين فقط كانت هي الإغراء الدائم لأولياء الأمور.

خلال أيام والدي الصاخبة في مدرسة نيوكاسل الثانوية، فتى من هانلي، يصغره بعامين أو ثلاث، يدعى إنيوك أنرولد بينيت، كان كثير الكسب لمتابعة دراسته في المدرسة المتوسطة في ذات البلدة. حيث لا داعي

للقول، القليل جداً من التواصل بين تلاميذ المدرسة المتوسطة، والشباب المستبدين المتآمرين في المدرسة الثانوية. حتى بعد فوز مؤلف حكايات الزوجات القدامى بمكانة دائمة في الأدب الإنجليزي، ما زال أقاربي لا يقدرّون أرنولدينيت كثيراً، وواصفون له على نحو مميز بـ "أناس عاديون جداً".

كان التعليم المتاح لوالدي، من حيث الكيفية والقدرة في ذلك الوقت من طراز القسط، ويعتبر كافياً إلى الحد البعيد للطبقات المتوسطة الريفية تقريباً. لم يتم التعويض عن النقص بأى مؤهلات أعلى من أصدقائهم، طيلة فترة طفولتي في ماكليسفيلدوبكستون، لا أستطيع أن أتذكر أبداً أن واحداً جاء إلى المنزل كان أكثر اهتماماً لي من الأقارب، أو السكان المحليين ضيقي الأفق مع زوجاتهم الأكثر ضيقاً.

هذه العائلات تشبه تماماً ذلك الشكل الذي لا يزال يقيم في تلك البلدات الريفية الصغيرة؛ الزوجات "يبقين بالمنزل"، والأزواج توظفوا كمدرّاء لأفرع بنك، محامون محترسون غير مغامرين، رجال أعمال متواضعين يفضلون الأمان لتجاربهم، وأطباء "الأسرة" الذين على سرير المرض يموهون في العادة التشخيصات المشكوكة. المعلمين الذين لم يتم تشجيعهم، كما وجدهم أبي مملين في محادثاتهم. كان دائماً واضعاً حدالتاجر الحر، وكان على استعداد للانضمام إلى قضية ضد أي من مؤيدي جوزيف تشامبرلين في الجدل الموضوعي حول التجارة الحرة مقابل إصلاحات التعرّف، لكنه اعترض لكونه تلهي من نقاشه الأسر عن صناعة الورق إلى مواضيع ذات أهمية بعيدة مثل قصف بورت آرثر، الفظائع التركية في مقدونيا، أو سياسة الحزب الثوري الروسي الذي كان دمويتها حراكاً لإنشاء مجلس الدوما بعد أحداثها.

بالنسبة لانتباهي الغير ناضج، بالكاد صدق هذه أو تلك الأحداث البعيدة، بالأحرى أكثر الأحداث المتنبأ بها نجحت في اختراقه، حتى عوامل الحجة المالية، على الرغم من جملها الكاف تعتبر أنها تفوق فهم تلميذة المدرسة. افترضت أن هذا هو تمام الكمال حيث كل الأبواب والنوافذ تقود نحو أكثر المغامرات و

والعالم تلويحاً، عالم الأدب، المنح الدراسية، الفن، السياسة، السفر، لتكون مغلقة عليّ، وهذا ما حافظ على طفولتي لوقت طويل نسبياً بمجرد زهابي إلى المدرسة، وتعلّمي - على الرغم من البعد الذي ملأني بالذعر - ما هي بلدان الروعة القصية، والتعليم، والاكتشاف، والعلاقات الاجتماعية القائمة على القيم الباقية تكمن وراء تلك الجدران الريفية القاسية التي أحيطت بـ لوازم البرجوازية الآمنة بداخلها، أثارت سخطي حتى عزمت بطريقة ما اختراقها نحو حلوة الجنة والضوء اللؤلؤ كنت أعتقد اعتقاداً راسخاً ترقبهم ليّ في الجنوب.

غالباً ما اتساءل كم من أصدقائي في الوقت الحاضر كانوا محصورين بأفق محدود كما أولئك المحبوسين في أول ثلاثة عشر عاماً من عمري، حتى هذا الوقت في الواقع، أنني كنت في الحادية والعشرين من عمري، كان اتصالي الوحيد مع الحياة خارج انجلترا محصوراً في جولة كوك إلى لوسرن، حيث ظهر لدي النكاف فور وصولي وقضيتُ بقية الإِسبوعين في المشفى، وزيادة قصيرة إلى باريس والتي أثناءها صرع والدي بسيارة تاكسي، وأصبحنا جميعاً بالعودة إلى بكستون.

أفترض أن المؤلف الأمريكي ألبرت إدوارد ويغام، مؤلف كتاب الفاكهة من شجرة العائلة، لديه إحصائية بأن نصف الرجال والنساء المميزون في العالم يشغلون واحد في المائة من سكانه، وأن كل ذلك الإزدحام المقارب الملايين يكون ضرورة لإعطاء النصف الآخر قادته. لكن عندما أتأمل - في مراهقتي اللاحقة اعتدتُ على التفكير - المزايا التي لا تحصي للوراثة والبيئة في وقت مُبكر والتي مقحمة في مجرد كونك مولود كفرد لهكذا أسر مثل الهاكسليس، الهالدنيس، وفريش، داروين أو أرنولد، ما يبدو غريباً حقاً ليس تلك البقية المغمورة الناتجة فقط لنصف مجموع المواهب البشرية، إنما أولئك الذين ينتمون إليها دائماً في أي وقت من الغموض القائم.

( 5 )

بعمر الثالثة عشر، صغيرة في سنواتي وما زلت صغيرة جداً كطفل برغم خمسيني الناضج من الرفقاء، أرسلتُ بعيداً إلى مدرسة سانت مونيكا التي تأسست مؤخراً في كينغسوود في شيري - اختيار آمن، لأن أكبر أخوات أمي وأقدرهن كانت إحدى المديرات. شريكها، لويث هيث جونز، امرأة ذكية، ونشطة تلقت تعليمها في شلتنهامونيونهام، توعدت وألهمت بالتبادل الفتيات والمعلمات على السواء من خلال مثاليتها الدينية وسمتها الفردية القوية في تدريسها. إيقاعها الحركي التي تسببت فيه روحها المتوهجة لتأكل حياتها بسرعة كبيرة لقصف بنيتها؛ انهيارها المبكر أدى إلى تقاعدها باكراً بُعيد مغادرتي المدرسة، وتوفيت في العام 1931 بعد سنوات من المرض.

خالتي، حكيمة ومعتمدة على نفسها، قامت بمهمتها منذ العام 1914 حتى نهاية العام 1930 وعلى الرغم عدم امتلاكها شهادة جامعية ولا تدريباً تقنياً في مجال التعليم، احترامها الشخصي وطبيعتها المعطاة للتنظيم سرعان ما جعلت سانت مونيكا في مكانه عالية، لديها عهد مستنير ومنفتح وسط مدارس الفتيات الخاصة. حالياً فقدت هذه المكانة في أيدي لجان ذكورية خاصة، و تصنف الآن كمدرسة عامة.

إذ ، قبل سنوات قليلة من الحرب ذهبت إلى سانت مونيكا لأول مرة، لم تكن المدرسة الحديثة قد وصلت بعد إلى المعايير التعليمية العالية كما أيامها القادمة، على الرغم من طموحي المتبرعم في الذهاب الى الكلية - الذي تطور بمجرد اكتشافني أن مثل هذه الأماكن لكليات المرأة موجود، وتُعلم ما تقف لأجله - فُوبل بتعاطف حقيقي من قبل المسؤولين والإصطاف على السواء، لم أتلقي أي تأهيل عملي للامتحانات اللازمة، تلك التي لم تُؤخذ كمطلب روتيني عادي، لا شك في أن إصرار والدي الجازم في جميع مراحل دراستي على انه ينبغي أن أتحوّل إلى سيدة شابة مزينة بالكامل ثابت من خالتي والسيدة هيث جونز بالجهود التي كانوا يجعلونها نيابة عني؛



أغلب المعلمات ذوات الخبرة والطموح كذبعد كل شيء عاجزات بشكل فردي في وضع الضالين تحت السيطرة باستثناء حزم الاباء.

احترم أقران الفصل الدراسي طموحاتي، ليست الغير طبيعية، ولا اهتمام خاص أو تعاطف. كان العديد منهن نساء شابات متأنقات لجامعات تمثل مراراً امتداداً غير ضروري للدراساتالسمجة التافهة، ويزدرون جهودي للوصول إلى أعلى المطالب، وقلقي الساذج للبقاء هناك، كتبرئهم بشكل مُرضي من السعى المرهق للفوز بتلك الدرجة لأنفسهم.

من ناحية اجتماعية، كنت حقاً عديمة التقدير وسط هؤلاء الفتيات الثريات، اللاتي أُعددن بواسطةأبائهم لـ لندن وإدنبرة، لديهم عناوين في بلدة في ما يفيرا أو بلجرافيا، ومنازلهم الريفية التي دائماً ما كانت تسميه "هول" أو "بارك" جزء منها. لم يكن في مقدور والداي تحمل الكثير من المسارح والحفلات الموسيقية التي أختير العديد منهم بناء على طلب أسرهم؛ كانت "أفضل" ملابس مصنوعة في المنزل أو مشتراه من متاجر غير مميزة في بكستون أو مانشستر؛ والهدايا التي تلقيتها في أعياد الميلاد (الكريسماس) أو أعياد ميلادي لا تقارن بالعديد من الهدايا الأنيقة التي قدمها زملائي بالصف إجلالاً بعودة أقرانهم إلى المدرسة بعد العطلات.

ليس من المدهش أن بعض زميلاتي يطمعن في الاشتهار بشكل لا يقاوم لأجل "حجبي"، أو حتى حسد حريتي ، لكني اعتبرت هذه الموجودات مجرد أهمية ثانية لتعويض نقصي الواضح في المزايا التي يُقدرونها أكثر منها في تلك الأيام كما في هذه . مدارس البنات الخاصة جذابة، لكن بعض الأباء يستحذونوا على أكثر من نصف غاية النيةلتدريب بناتهم على حرفة بارعة أو مهنة مفيدة. كلا الفتيات الشابات وأمهاتهنالحدث المحتمل الأكبر الذي يلوح في الأفق هو الزواج، وعلى الرغم من الإصرار الجريء مع كل من المبادئ المدعومة للمثالية المنفتحة للخدمة العامة، تقريباً كل فتاة تركت المدرسة مع اثنين فقط من طموحاتها – بالعودة عند أول

لحظة ممكنة لإثارة إعجاب زملائها في المدرسة بتألق ناضج، وتحصل على الخطوبة من قبل شخص آخر.

على الرغم من أن أنني كنت مهتمة بالجامعات أكثر من الخطوبات، شاركت الرغبة السائدة وراء خزانة البالغين التي كانت على الأقل جزئية من اختياراتهم الشخصية، حيث أن جميع ملابس الفتيات في تلك الفترة تبدو أنها صممت من قبل كبيرات السن في التظاهر بالحشمة المنحصرة في ترك المتعرض للشمس والهواء لأجزاء من جسم الإنسان يمكن تغطيته بالفنيل. في هذه الأيام التالية، عندما أستلقي بكسل مشمسة نفسي في حركة صافية بثوب السباحة على شاطئ البهجة لمدينة الريفيرا الصغيرة – أو حتى خلال الصيف المعتدل، على الشواطئ في جنوب إنجلترا – ومشاهدة أجساد الفتيات الصغيرات السمرية الهزيلة، تكاد تكون متعرية، تقفز داخل وخارج الماء، أستاذ غاضبة ضد تقاليد العشرين عاماً الماضية، التي دثرت مرافقة جسدي الجميل في ثوب صوفي مسرول، جوارب كشميرية سوداء، صدر "حر"، كلسون قطني داكن، وغالباً ما يبر تحتاني من الفنيل، بالإضافة إلى الأكمام الطويلة، العنق العالي، بلوفر صوفي "سترة قصيرة".

في المدرسة، على رأس هذه الكتل من الأقمشة، كنا نرتدي بلوزات من الفنيل الأخضر شتاءً وبلوزات الفانيل البيضاء صيفاً، مع التنانير الزرقاء الداكنة الطويلة، مربوطة بأحزمة مطاطية إلى البلوزات تنزلق باستمرار وتنخفض، تاركة فجوة غير جميلة على شريط البلوزة أو تدبس بأمان على ياقة القميص. البلوزات الخضراء والبيضاء على حد سواء ذات أكمام طويلة تنتهي بأزرار تحيط الكم كالأسورة عند المعصم، يالقت عالية تغطي الرقبة تقريباً حتى الذقن، وعروات متأنقة على الحلق مع ربطات خضراء مُحكمة. لمباريات الكريكت والتنس، حتى صيف 1911 القظ، كنا لا نزال نرتدي التنانير المتهدلة والبلوزات ذات اللياقة العالية. مع شعر ثقيل مجدل على شكل ضفائر؛ لم يكن حتى بعد الحرب الذهاب إلى المدرسة بأكمام الكتان البيضاء الطويلة من أجل ألعاب الصيف، فقط في صف الجميز اكتسبت أطرافنا المعاقة الحرية، وحتى بعد ذلك يضام، كاد ارتداء البلوزات ذات الأكمام الطويلة تحت السترات

المطوية قليلاً . بالرغم من هذه العوائق للألعاب والتمارين جعلتنا مرنات وحازمات ، خلال الحرب كان لدى سبب لأشكرهم على إمكانيات التحمل التي وضعوا أساسها.

الصداقات الحميمية الوحيدة التي شكلتها في كينغسوود كانت قليلة، غامضة، نصف أجنبي، فتاة جميلة، العدل، الإنجلوساكسون الحلو المحبوب، لقد كانت أسمائهم تلك مناسبة جداً مينا وبرتى. مينا الابنة الكبرى في عائلة كبيرة وغنية، برزت في المدرسة كموهبة فنية حقيقية، بينما تمتلك برتي إمكانيات عقلية لم تكن تستكشفها بما فيه الكفاية، جراء للرغبة المعلنة جهراً مراراً للزواج وإنجاب الأطفال. في أي من الحالتين لم تنجح الرفقة الطويلة لمغادرتنا المدرسة.

مينا، خلال الحرب، تطورت تحت ضغط لعلاقة حب مغلقة استنكرت بقوة من ناحيتي، مما أدى بها إلى استنتاج أنني لم أكن أبداً مستحقة لصداقتها. عندما كنت بالتمريض في لندن في أوائل العام 1916، وكانت ترعى جائزة ضخمة للرسم في مدرسة الفنون، حددت موعد معي عند - من جميع الأماكن المناسبة للإدانة الأخلاقية - النصب التذكاري لألبرت، من أجل أن تخبرني بأنني كنت أنانية، غير مخلص، طموحة، وبالتالي لم أعد استحق مودتها. أستطيع أن أرى بنيتها الصغيرة المتماسكة الآن، وأضحة جداً في معطف وتتور من القماش الوردي الغريب معاكس حجر الأساس لي ألبرت الطاهر، كما أنها استقبلتني بخشونة، لا يذوب فيها ما تم تجميده في أول مأساة حقيقة لتجربتي.

'لم تعنتي أبداً برولاند؛ رغبتى فقط بالزواج به بدافع الطموح! إن كنت حقاً تحببته لا يمكنك التصرف بتلك الطريقة التي قمت بها في تلك الأسابيع القليلة الماضية!'.  
لقد كان من الطبيعي بطبيعة الحال، لتفعله فتاة في تلك الفترة على افتراض الرغبة في التأثير، التي هي شائعة بين النساء كما بين الرجال، لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق اكتساب زوج باهر، لا أنكر الحالة المزاجية التي قضيتها في رحلة طويلة في ركوب الحافلة عودة إلى

كيمبيرويل، لكن ربما كنت أفكر برهبة في ذلك الوقت، على أي حال، افترقنا لخير، لا أستطيع أن أتذكر بأني قابلت مينا منذ ذلك الصباح.

مع بيتي استمر التواصل لفترة أطول وأنا مدينة لذلك بالكثير، على مدى عامين تقريباً خدمنا سوياً خلال الحرب بتفاهم في ذات المستشفيات العسكرية، حتى بعد أن تم الحفاظ على هذا النوع من الصداقة والتي تجدد نفسها في اجتماع جمعية الفتيات القدامى وتبادل بطاقات عيد الميلاد السنوية. لكن العلاقة الأليفة الحقيقية بيننا أصبحت صعبة – متعذرة بمجرد أن تركنا المدرسة، لأن بيوتنا في أجزاء مختلفة من إنجلترا، يعتز أبائنا بالتطلعات الاجتماعية المختلفة، وطموحاتنا كانت ليست نفسها لم يكن لدى بيتي الرغبة في التعليم الجامعي أو استقلالية المرأة العاملة. الحرب ؛ التي أحبطت الأفراد والآمال الوطنية، تسببت في بقاء مستقبلها غير مؤكد حتى العام 1922، عندما تزوجت برجل يكبرها سناً التي سرعان ما أصبح بعد ذلك عضواً محافظاً في البرلمان اليوم لديها طفلين جميلين، الصغير يكبر ولدي قليلاً، ما يزال توفر نقطة الاتصال بيننا التي في نواحي الكاد تختلف على نطاق واسع.

( 6 )

أتذكر كينغسوود بشكل واضح للغاية كما قلتي عشرين عاماً، مع التلال الصافية الممتدة بعيداً إلى سميثام، والغابات الكثيفة المتتالية بفعل الاندفاع القرنفلي والرمادي لفلالضاحية التي قسمتها الآن قهراً إلى أقسام. في الأمسيات الصيفية أحد أفضلياتنا التسكع عبر الحقول المنحدرة، استلطف البرسيم والزعتر والورود البرية بين كينغسوود وتشيبستيد؛ هناك عند انحدار الشفق رأينا بانفعال قليل عند السماء المعتمة دلائل مُذنب هالي الذي قيل عنه أن يبشر بمثل هذه الأحداث الضخمة او الاستماع بشكل أكثر هدوءاً إلى العندليب

في سكون تألف فقط عند فترات طويلة من الخمول، القطارات الصغيرة النادرة التي تسير بتمهل أسفل الخط الحديدي في الوادي، الزعتر والورود لا يزالون يزهون بشجاعة – جراءة حول تلك المروج المنكوبة، لكنني لم أسمع العنادل أبداً هناك منذ الحرب، والمشي المتتالي مرة واحدة لطالما كان يفسد عراقيل الأسلاك الشائكة واللافتات الموضوعة لإرهاب المتخبط.

في الأشهر التي سبقت التحاقني بـ إكسفورد، عندما اضطررت إلى الاجتهاد، المنفرد ودون مساعدة، خلال تعقيدات حملة من مناهج الامتحانات كثيراً ما أدنت والداي بشكل خاص لعدم إرسالهم ليّ إلى شلتنهام، أو رودين، أو حتى إلى مدرسة ثانوية عادية، حيث تمارس الإدارات التي تحفظني من غضب المبارزة مع الألغاز الأكاديمية. لكن في السنوات الأخيرة أدركت أن سانت مونيكا على الرغم من أنها لم تكن تمتلك بعض المزايا الروتينية لمدرسة عادية ، بعيدة جداً عن كونها مسألة ندم مما لا شك فيه أنه لم يقدم هذا النوع من التعليم الممتد والدقيق والذي يعتبر الآن حتماً أولويةً لأي مهنية احترافية؛ لكن هذا التدريب كان يتم الحصول عليه بشكل أساسي في المدارس التي تظهر الانجذاب الجنسي من تلاميذها وتحولهم إلى لعب الهوكي صاحب بخرق الأسلوب والأسلحة المانعة.

سانت مونيكا لم تفعل ذلك قطعاً، أعدتني أيضاً للإجهاد والضغط لكل السنوات القليلة الآتية، لكنني اتساءل عما إذا كان الجو الاصطناعي لمباريات الهوكي واختبارات المرحلة الثانوية سيكونوا أفضل من ذلك، إذا، في الواقع التطور المبكر للروح الأكثر انتقادية والأقل مثالية كان سيبرهن على المدى البعيد أنه سلاح فعال ضد الكوارث المهلكة. دزينة من السنوات الدورية لمراقبة مُدرسي إكسفورد قادتني إلى الشك في ذلك، حتى بالنسبة لأولئك المُضللين المحتملين على الأولاد والفنيات من جيل الحرب، لن يكون أكثر تطوراً من كلية انتقادية على الأقل كخطورة من هو تحت التطوير. هذا الأخير، على أي حال، لا شيء لتدمير تلك المهمة التي هي أكثر أهمية من أي كيفية في محاربة العراقيل ،

والسخرية البلهاء التي غالباً ما تقابل باكورة الشباب أكثر من أي وقت آخر.

كنا صغاراً جداً لامتلاك قوة لتلطيف زخم التاريخ الوحشي ؛ ربما كان علينا الذهاب - اضطررتالذهاب - إلى الحرب مهما كانت نفسيّتنا، ومن الممكن القول إن الأشهر الأولى من إضاعة إيماننا كانت عاملاً فيعودة بعضنا النهائية إلى الحياة. على الأقل المطالب غير الصارمة من الدروس السهلة في سانت مونيكا، الاعتدال في المناقشة الفكرية - أكثر من ذلك بقليل في مدرسة بكستون فقط لأنه تم اختيارالفتيات من منطقة واسعة - الإلفة الفاتنة للفخامة، الريف الهادئ ، النطاق الممتد لقراءة الكثير لدانتي وشكسبير، لشيلي وبرونينغوسوينبيرن، وإعطاء فرصة للأحلام والكثير منها ، في أعجب الأساليب ومُقابلة كل الاحتمالات لديها منذ ذلك الحين للتجسد.

فقط في يوم آخر صحفي زميل، من جانب كئيب وجانب مؤنس، أخبرني بأنني حققت شيئاً أفضل من المساواة الجنسية أكثر مما فكرت به لمثل هذا الموضوع الاستثنائي حتى بدأت في نشر مقالات حول المساواة في الأجور ومهن النساء المتزوجات عبر صفحات يومية وأسبوعية للصحف. كان الأمر كذلك، باستطاعتي فقط الرد بأنني لم أكتب شيئاً عن مظاهر الحركة النسوية المتعددة التي لم تستند إلى قناعة حقيقية، وأن أسس هذا المذهب قد وُضعت للمرة الأولىلبغرابة كافياقي المدرسة التي كانت ظاهرياً تعتبر للعديد من الآباء الذين تعهدوها كوسيلة لتجهيز الفتيات ليكنأقل منزلة من الرجال وخاضعات برضى .

السيدة هيث جونز، التي من معرفتي لمزاجها أشك الآن في أنني كنت بسرية متعاطفة مع الكفاح لحملات التصويت والمظاهرات التي بدأت بعد تأسيس الاتحاد الاجتماعي والسياسي للمرأة في عام 1905، كانت متحمسة على الرغم من تحفظها على النسوية. وكثيراً ما تحدثت معي عن دوروثيا بيلوإميليدفيز، وأعارتني كتباً عن الحركة النسائية، وحتى أصطحبتي مع واحدة او اثنتين من الفتيات الأقدم في عام 1911 إلى ما كان يجب أن يكون أكثر سلاسة

لاجتماع التصويت الدستوري في قرية تادورث. هذه المقدمة العملية للتسوية يجب ان تكون ارتبطت في ذهني بعد ذلك بانفعال جلل، ضربات السكة الحديدية، المنافسات البريطانية المعقدة والأزمات الدولية لذلك الصيف المحموم، هذه الثروة من التفاصيل الموضوعية قدمت لإفتتاحيتي الحماسية في مجلة المدرسة عام 1911.

حتى هذا اليوم باستطاعتي تذكر بعض الدروس التي قدمتها لنا السيدة هيث جونز في التاريخ والكتاب المقدس -الدروس التي تتسابق في ذات الخمس دقائق تراجعاً وتقدماً من الثورة الفرنسية إلى النصر الليبرالي عام 1910 في الانتخاب العام، من نبوة أشعياء إلى الغزو الإيطالي لطرابلس في العام 1911. من وجهة نظر غير خيالية للامتحانات قبل الحرب كانت غير عملية تماماً، لكن كتدريس بالمعنى الحقيقي للكلمة - الإبداع في عقول غير ناضجة في القوة على التفكير، للتصور، لإدراك المتشابهات بالكاد يمكن تخطيها. في العام 1908 ، بعد ضم الإمبراطورية النمساوية المجرية للبويسنة والهرسك، أعدت لنا خرائط تقريبية لشبه جزيرة البلقان، وفي العام 1911 رتبت ندوة مدرسية حول الأزمات المغربية -بشأن ما اقترحته بضبابية لكن بحماس وطني - حينما رست البارجة الألمانية(النمر) ناحية أغادير.

عم تشجيعها علينا أيضاً لقراءة الصحف، التي كانت حينئذ إضافة استثنائية غريبة للتدريس في مدارس الفتيات الخاصة. لم يكن أبداً بلا شك يسمح لنا بالحصول على الأوراق ذاتها - لربما تحيد عيوننا البريئة من الشؤون الخارجية إلى الأدلة التي اتخذت باللجنة الملكية في الزواج والطلاق أو التقرير لمؤتمر باريس العالمي لجمع تجارة الرقيق الأبيض - القصاصات المختارة بعناية جاءت دائماً من التاييز أو الأوبزرفر غير المعدلة بآراء سياسية مخالفة، لكن الحقيقة أننا حصلنا عليها إثباتاً للاعتراف بأهمية الأحداث الجارية بعيداً عن العرف في زمن كانت فيه السياسة والاقتصاد لا يزالان مُعتقد من قبل معظم مديرات المدارس بأنها لا تشكل جزء من تعليم النساء الصغيرات الصالحات للزواج .

لم تكن دروس الأنسة هيث جونز وسط الفتيات موضع تقدير دائماً، بالنسبة لمعظم النساء الشابات المصونات في تلك الحقبة لم يكن هناك أي تخوف من سعة تطور التفكير بداخلهن. حتى الآن أتذكر مقاومة بعض أقراني لتفادي مواجهة بعض الدروس الأقل قبولاً في العام 1914. لا تزال هناك على ما أعتقد، عدم معرفة كافية من قبل المعلمين لحقيقة أن الرغبة في الإدراك – والتي في الأساس مشكلة أخلاقية – يجب إحداثها قبل تطوير الطاقة. معظم الناس، رجال ونساء على حد سواء، تمنوا قبل كل شيء أن تكون مُريحة، والتفكير عملية غير مريحة قبل تفوقها؛ يجلب للفرد معاناة أكثر بكثير من السعادة في العالم شبه المتحضر الذي لا يزال يذهب إلى الحرب، لا يزال يشجع ولادة طفل ثالثاً غير مرغوب فيه بواسطة الأمهات المنهكات، ولا يزال يجبر المتزوجون الذين يكرهون بعضهم على العيش سوياً باسم الأخلاق.

من القراءة المتفرقة والمتنوعة التي فيها بحكم استناداً على إلهام السيدة هيث جونز وتدريسها الغير تقليدي، تشبعت بين سني الخامسة عشر والثامنة عشر، القصيدة – الشعر، الرواية والانتصار المعترض للدعاية خاصة الاتجاه المعروف الذي كنت أتحركه. خلال الاستعداد لأحد الأمسيات الخريفية العاصفة في الصالة الرياضية للألعاب بسانت مونيكا، عندما هزت الرياح الجدران غير المتينة والقمر هلالاً دقيقاً، يلمع – عبر منور في السقف، يندفع داخلياً وخارجاً من السحب الخاطفة، قرأت لأول مرة "أودنيس" لشيلي، ضمن أكثر أسلوب مذهل ومؤثر لتجربة الطفولة في إدراك الجمال المتجسد للأدب، وجعلتني أخيراً أصر على أن أصبح الكاتبة التي حلمت أن أكونها منذ أن كنت في السابعة من عمري. ما زلت أتحدى أي شخص، "مترفعة"، ليجد التشويق في القراءة لأول مرة في عمر السادسة عشر، والحميمة للاسطر:

والذي تبقى، الكثير من التغيير والضياع؛

نور السماوات يضيء أبداً، وتفر ظلال الأرض؛

الحياة، تشبه فيه الزجاج الملون،

تلطخ البياض الناصع للأبدية ...

الروائية الغريبة تماماً، كانت السيدة همفيري وارد المتداخلة ديناً، روبرت إسمير. كنت قد أدركت عندما قرأتها أن مؤلفتها كانت حتى حينها منهمكة واعدة في حشد إجباري ضد التصويت،



ربما كان تأثيرها على أقل، لكنني بقيت جاهلة حتى بعد بضع سنوات بمكائد السيدة وارد السياسية، وقد حولني كتابها من حالة لا جدال فيها إذ كنت غير مبالية إلى حد ما بالذهاب إلى الكنيسة إلى لا إرادياً متلهفة فضولية.

لـ أوليف شراينز المرأة والعمل – ذاك "الكتاب المقدس للحركة النسوية" التي ظهرت للعام في 1911 كملحة ومحرضة كنداء بوق لحشد الصالحين لحملة صليبية حياتية – كان كافياً لقبولي النهائي في النسوية، أعارتني السيدة هيث جونز الكتاب فور صدوره، وما زال بإمكانني الشعور بالإثارة للمرور الذي دعمني، نشأت تقريباً كما كانت جميع الفتيات من الطبقة المتوسط في تلك الفترة لأعتقد بأنه كتب علي للأبد مستهجنة لكن الوصاية ضرورية، في إصراري على الذهاب إلى الكلية وعلى الأقل النهوض لنوع من الحياة الأكثر استقلالية أكثر من تلك لسيدة شابة من بكستون:

" نحن نأخذ جميع العمال لمقاطعتنا! "

"من مقعد القاضي إلى كرسي المشرع؛ من مقصورة السياسي إلى مكتب التاجر، من معمل الكيمياء إلى برج الفلكي، حيث لا وظيفة أو شكل من أشكال المثابرة التي لا نعتزم أن نحاول ملائمتها بأنفسنا، حيث لا باب مغلق لا نعتزم فتحه؛ وحيث لا فاكهة في حديقة المعرفة لا نعتزم على أكلها".

هكذا كانت حديقة سانت مونيكا، بجانب الأعشاب المتنامية قليلاً على حوض السباحة حيث تنزلق الأسماك الذهبية الممتلئ إلى داخل وخارج الظلال، و الأعشاب ذات الريش تدلتر ووسها الثقيلة على حافة الماء، ذاك ولأول مرة صورت جذل النشوة الطفولية عالمألن تكون فيه المرأة هي الثانية لسبب بعيد، مخلوقات غير مهمة لا يتم النظر إليهن ، لكن التساوي والاحترام رفقاء الرجال، بالطبع، تلك الحديقة المدرسية الآن بهجة

التشذيب في نضج العشرين عاماً، لكن في الآونة الأخيرة نحتب من ظهر الحرش للتلال المنحدرة والسياج الذهبية برتم متشابك والوزال، بالنسبة لي كانت مرتبطة بطريقة ما بكل مرحلة من الماضي.

هناك، في عمر السادسة عشر، بدأت لأول مرة في الحلم كيف الرجال والنساء من جيلي – مع نفسي بلا شك بارزين وسط تلك الكوكبة لـ ليوناردوس – سيدشونون عصر النهضة الجديد على نطاق هائل ومن شأنه الإسترداد التلقائي لجميع الأخطاء الحمقاء لأسلافنا. هناك الكثير من الواقعية، خطت رغبتني الطويلة والمنتظمة لمهنة آجلة، هناك ملاذ مأمول بعد الاضطراب في امتحانات الكلية، هناك الانتظار للأخبار من الحرب، وحس الرعدة المشؤومة للقصف من الساحل البلجيكي تهز وادي كاترهام مثل زلزال جوفي. هناك أيضاً ، حين انتهت الحرب، تجولت بعد اصطحاب الفتيات السابقات لفصول في التاريخ والعلاقات الدولية، للتفكير حقاً في العلاقات الأخرى أكثر من الدولية، ومنتساءل ما إذا أو لم نتزوج .

لكني توقعت، في آخر فصل لي، كفتاة رئيسة، لم أقم بامتحانات ولا عمل صغير جداً، باستثناء صفوف التاريخ الخاص والأدب مع المديرية الزائرة، السيدة ف.، واحدة من أولئك المدرسين النادرين، كالسيدة هيث جونز، الأصالة المقتنة والعبقرية الحقيقية للأفكار الحماسة. لعل عطاءاتها المقدرة من حقيقة ذلك نجاحها في ملأى بهمة جبارة لأعمال كارليلوراسكين. "الأكثر أهمية من كل الفصول حتى الآن الارتقاء الملاحظ لنجمي"، يبدأ جزء منه بجدية في عمر السادسة عشر تدويناتي اليومية خلال العطل بعد ذهاب الأنسة ف. لأول مرة إلى كينغسوود – على الرغم من ان الإشارة لم تكن لذاتها، لكن للدوافع المعطية بواسطة تدريسها للنشوء تلك المشاعر التي تحت تأثير الماضي والحاضر يجب أن أكون واصفة لها كمثالياتي.

أنيقة، استنبطانية، مخلوقة مزاجية، الأنسة ف. ذات مرة قضت بضعة أيام في بكستون بصحبتني وأسررتي – أقل ما يقال أنهم استنكروها – وأخبروها بثروتنا في فترة ما بعد الظهيرة الفاترة. بخصوص إدوارد، الذي كان في السادسة عشر، آنذاك

بدأت غامضة ومتحفظة، لكن بالنسبة لي لاحظت: "حسناً اعتقد أنك ستتزوجين" (العبارة التي تعني قبولاً ضمنياً في جانبها لما هو مفترض ان يكون الشغل الشاغل للفتاة العاقلة)، "لكن إذ لم تتزوجي بعمر الحادية والعشرين، سيكون عليك الانتظار حتى تبلغى الثلاثين. بحلول ذلك الوقت سيكون لديك نوع من العمل؛ لا أعلم تماماً ماذا سيكون، لكن بما يصبح مناسباً بشكل جيد ولا يتعارض مع زواجك".

قبل مغادرتي لسانت مونيكا لعبت دور مادونا في "القلب التواق" مسرحية غموض الكريسماس للأنسة باكتون، التي منحنتي استثنائية بارزة وطبيعة عاطفية -لأسابيعي الأخيرة في المدرسة جازياً، على الأقل كنتُ ملياً متلائمة جداً مع هذا الدور وهذه الحقيقة لكل من اطلع على المسرحية، مع نصفها العاطفي، نصفها الرمزي المتجرد من التطلبات المبتذلة للحياة اليومية، عسى أن تعطي فكرة أفضل من أي شيء آخر للحالة الذهنية التي فيها. قبل أن أصبح في الثامنة عشرة غادرت المدرسة إلى "الظهور" كغريبة في أجواء بكستون "المجتمع".

( 7 )

إنه لن يكون، أعتقد، بأن ممكناً لأي فتاة اليوم من ذات العمر أيضاً التخيل كيف الجهل العميق، كيف المثالية الرومانسية، وكيف السلجة الخالصة لأندادي أكثر حرجاً وأن كنا في ذلك الوقت. برائة اليوميات التي بدأت أكتبها باستمرار فور تركي المدرسة، واستأنفتها حتى أكثر من نصف الطريق من الحرب، يجب أن تقرأ بالتسلسل لكي تصدق. تم اعتماد "تسجيلات تأملية، 1913" على صفحة عنوان مع التطلعات العميقة التالية:

"لتمديد الحب، لتعهد فكرة، لتخفيف المعاناة، لمحاربة الجفوة، للحث على النشاط".  
"للمعرفة كل شيء لأمر شيء وأمر كل شيء".

الصفحة نفسها تحتوي على اقتباس مفضل من رواية "الأميرة البعيدة" لروستاند:

آه! القصور الذاتي هو الرزيلة الوحيدة، سيداير اسموس

والفضيلة الوحيدة هي ... الحماس

تسجيل واحد، دُون في العشرين من ديسمبر 1913، بعد الرقص المحلي، جرى على النحو التالي: "يتركني مع شعور غير راضي جداً بأن ألتقي العديد من الرجال الأغبياء والسطحيين الذين من الواضح أن جميع الفتيات سُررن بهم ، ما أتمنى أن أستطيع الالتقاء برجل ملئ بالقوة والغيرة، وجدي بخصوص حياته! يجب أن يكون هناك مثله!".

لم أظهر أبداً هذا التعبير عن طموحاتي العاطفية لزوجي، لذلك لا أعلم ما إذا كان يعتبر نفسه بمثابة محقق للوصف أم لا.

بحلول العام 1916، التصورات المتفائلة للسنوات السابقة اختفت جميعها من صفحة العنوان في صحيفتي الساذجة؛ وتم استبدالها بأربع أبيات شعرية من كتابات بول فيرلاين التي بدت لي دائماً التمثيل الأكثر حرفية من أي قصيدة أخرى بالإحساس المثقل لكونها عاشت طويلاً وعبرت الكثير لي أولئك الذين أدركوا من الأولاد والبنات لجيلي بعد سنة أو سنتين من الحرب:

أوه، ماذا فعلت أنت، أنت هنا

تبكي باستمرار؟

إخبرني، ماذا تفعل، ها أنت هنا

مُنذ شبابك؟

وليم نويل هوجسون، الذي قُتل عندما كان في العشرين من عمره في سوم، أتحسر على فقد الشاب الذي كنا بالكاد نعرفه في واحدة من أحزن الأغاني القليلة التي أبرزتها الحرب. حملتني إزاء النحيب أتذكر، إذ بعد أربع سنوات من المستشفيات، وآخر الإجازات، والوداعات، سمعتها تُعني من قِبل توبليسغرين في قاعة البرت حوالي عام 1919:

حُذ شبابي الذي مات اليوم،

وضعه على السرير نو الصفحة الزهرية

كان شهم جداً ومرح، --

دعهم يوراون رأسه المحطمة،  
الورود الحماسية والأحمر  
التي ذبلت بسرعة وتلاشت .  
دع الشاهد الصغير ليحبر العظم  
حيث عيناى لن ترى أبداً؛  
لا ترفع الحجر، لا تخلق اهتماماً  
لئلا ينكسر قلبي الحزين، ورغم ذلك،  
لضعفي ، أتركك هناك  
غصون الحرمل وإكليل الجبل

لكن مرة أخرى تأملت. الإقتباسات البسيطة من مُفكرتي الشبابية التي استخدمتها، وأصُر على استخدامها، مُدرجة في هذا الكتاب في تسلسل من أجل إعطاء بعض التصور عن انعكاس الحرب مع عنف خيبات الأمل، بؤسها المُسكن بتمويه لطيف، لدى البريء البارِع الذي "نشأ" (المعنى الاجتماعي البحث) فقط قبل اندلاعها. هرمجدون مهلك المستقبل، والذي غالباً ما يتم تصوير الأهوال بلغة زاهية من قبل مُراسلي عصابة الأمم ، لا يمكنني الاعتقاد قضية جمهور الشباب الساطعة - الذكي لليوم، مع واقعتهم رابطة الجأش، اتفاقياتهم، معرفتهم الأليفة للحقائق الجنسية، إمامهم بواسطة الخبرات المتراكمة لنا وأقدار أسلافهم، عُشر الصدمة الجسدية والنفسية التي سببتها الحرب العظمى للفتيات المعاصرات عام 1914.

إنه، بالطبع، من الممكن تصور أن الشبابات من النساء ترعرعن ، مثلي، في المقاطعات، كن أكثر طفولية ومثالية جاهلة من أقرانهن في لندن؛ حتى الآن بالنظر إلى فتيات لندن اللواتي ذهبن وأنا معهن إلى المدرسة لا أعتقد أن الفرق كان كبيراً جداً. أتذكر جيداً قول إحداهن لي بعد "تخرجها"، أنها كانت دائمة الخوف من الذهاب بعيداً مع الرجال، لأنها لم تكن تعرف حقاً ماذا يكون بعيداً جداً، لم أكن حقاً قادرة على توعيتها، برغم حادثة وقعت لي قبل سنتين أو ثلاث مبكراً جعلتني متأكدة لذلك الخطر المبهم إنهامراً مُخجل جداً وغير مريح بعمق.

في نهاية الفصل الدراسي، كنت كالمعتاد تحت رعاية المديرية داخل القطار بسانت بانكراسفي رحلة طويلة إلى بكستون. محافظة على القاعدة بتأني والتي نشأت من انذارات حركة

تجارة الرقيق المعاصرة ، لأنه لم تكن مطلقاً ناسافر لوحدنا في عربات القطار مع الرجال، اختارت مقصودة كان فيها ذكر واحد مسافر برفقة مأمونه بجانب أنثى مُسنه موقرة، للأسف عند كيترين، المحطة الأولى بعد أن غادرنا سانت بانكراس، نزلت المرأة المُسنه، فور انطلاق القطار مرة أخرج بالرجل الغريب، داكن البشرة أسود الشعر مسافر منفرد للدرجة الاقتصادية ، ذو عيون متقلبة وأيدي مشعرة ضخمة أتى من زوايته وجلس بالقرب مني.

"كنت أنتظر خروج تلك القطة العجوزحتى نتمكن من التحدث بلطف قليلاً" بدأ متوعداً.  
كنت أكثر فزعاً من ما سمحت لنفسى ظهوره، نظرتُ بعجز إلى الباب المغلق المؤدي للممر، لكن مع ذلك وجوده يحميني أفضل مما أدركت، كان يعزلني تماماً من قبل تملق جسد رفيقي.

"أرى أنك ذاهب إلى بكستون"، مكملاً، ناظراً إلى حروفي الاولية على الحقيبة . "كيف كنت أتمنى لو لم أتمكن من الخروج عند ليستر! الآن أن تخبريني بإسمك فقط؟"  
تشجعتُ بذكر ليستر، التي كانت مسيرة نصف ساعة أخرى، أجبتُ بطريقة مبتكرة أن إسمي فيوليت براون وأني لا أعيش في بكستون ولكنني ذاهبة فقط هناك لإسبوع واحد للبقاء مع أصدقائي – إختلاق مستوحى بواسطة الخوف الكابوسي من أن شبحة ربما قد يظهر فجأة بحثاً عني على عتبة الباب الأمامي الخاص بنا.

"وكم عُمرِك؟" مستفسراً، ملحاً في قربي، لاحت خيبة أمل عندما أجبت بصدق بأنني في الرابعة عشر.

"ماذا؟"، صاحاً، "أنت فتاة صغيرة جذابة جداً – إعتقدت أنه يجب أن تكوني في السابعة عشر! حينما تصلي إلى المنزل يجب أن ترسلي لي صورتك – " وما زال يقممني في الزاوية.  
بعد ذلك أدركت أن القطار، الذي كنت عليه اعتمد

إيصالي إلى ليستر والخلص، قد توقف فجأة . بعض الهاتفات تتعالى على طول الخط؛ عدوي سمعها، وأبلغني بارتياح بأننا قد توقفنا ولا يمكن أن نصل ليستر لأكثر من ساعة.

"الآن الشيء السعيد أننا معاً قالها بهدوء، وأخذ كفيّ -وضيعبما يكفي للإمساك بتلميذة، أظافري ملطخة بالحبر من الألعاب وولهي بالبستنة. "الفتيات الصغيرات الجميلات مثلك لا يجب أن يقضن أظافرهن"؛ همس متلاعباً، متتبعا أصابعي، "ستتوقفين عن قضمها لإرضائي، أليس كذلك؟-وأمنحيني قُبلة لتريني أننا أصدقاء؟"

العيون السوداء الخبيثة، كفيه الخشنتين وأنفاسه السكرة تألفت مع تأخر القطار وزجت بيّ داخل حالة من الذعر، فجأة فقدت الأمل وربما أكثر تشنجاً توقعمُعذبي، أفلتُ نفسي بجهد هائل من أذرع المنتهكة، واندفعتُ بجنون نحو الممر. تعثرت بشكل أعمى بامرأة في منتصف العمر ضعيفة داخل المقصورة، حاسرت الرأس محمرة، تطلعت إليّ بذهول، لكنها تقبلت قصتي الغير مترابطة عن "الرجل المروع" وهدأت من اضطرابي بإعطائي حصة من شطائر اللانشوم خاصتها، إذا، بعد ساعة تماماً توقفنا، وأخيراً تجاوزنا ليستر، ذهبت معي لأستعيد حقيبتني من المقصورة التي ما زلت أخشى رؤية مهاجمي داكن البشرة، لكنه ذهب.

لم أحكي هذه الحادثة أبداً لأسرتي - فكرة الجلبة التي من شأنها أن تتبع، من القلق الذي سيتم بذله سواء في المنزل أو المدرسة كلما اضطرتت للسفر بمفردي، ملأتني بنفور عظيم جداً - لكن الإشمزاز الذي أثارته داخلي كان أعق جداً حتى أنني أتذكر ذلك بوضوح كما لو كان حدث في الأسبوع الماضي، لما لا، ليكن، حتى صيف عام 1922، عندما كنت في منبر مباشر في هايد بارك أيدتُ مجموعة الست نقاط في حث مجلس النواب على إجازة تعديل القانون الجنائي، الذي اعتبرت وجوده كمفاهيم قانونية من حادثة الاعتداء وسن القبول. بقدر ما أستطيع الحكم الآن، في الثامنة عشر كنت على الأقل مهتمة

بالمشاكل الاجتماعية وفي ما كان يشار إليه دائماً باسم "حقائق الحياة" مثل معظم أقراني، مع ذلك فضولي الجنسي كان دائماً السيء الثاني لطموحي الأدبي. حتى عندما اندلعت الحرب، لم

أفهم بوضوح ماذا يقصد بالشذوذ الجنسي، سفاح المحارم أو اللواط، وكنت في حيرة من الظل الذي تشبث باسم أوسكار وأيلد، الذي اكتشفت مسرحياته في عام 1913 وقراءتها بفرحة منتشية ضمن الإبيغرام.

تقريباً جميع الفتيات الأكبر سناً اللاتي ذهبن معي إلى المدرسة قد أدمنّ سراً المحادثات بشأن مجيء الأطفال؛ الاستكشاف الدوري من قبل الآباء أو المعلمين زج بهذه التكهنات والتي ما تزال مضمورة في الأقاليم أدت إلى هذا البحث المكثف عن تفاصيل ولادة من خلال الكتاب المقدس وروايات المكتبة المدرسية مثل ديفيد كوبرفيلد و آدم بيدو التي يبدو أنها كانت مألوفة في كل مكان تقريباً بين المراهقين من جيلي. بفضل هذه التتوير المؤلف كذلك التوضيحات المناسبة من كتاب الطب الأسري، لدى عمق بعض الشيء برغم الفكرة الفيكتورية للطراز البدائي بحيث نسل أكثر الوالدين تحضراً متشابه، لكن عن كيفية تربية الرضع وتدريب الأطفال الصغار لم يكن لدي أدنى فكرة سواء من الناحية النظرية أو العملية، لأن التأثير للنساء المتزوجات في تعليم الفتيات اللواتي كان معظمهن معدات للزوجية والأمومة كن يعتبرن أقل استحساناً مما هو عليه اليوم. وكنت أيضاً، على الرغم من مخزوني من المعلومات فليسولوجية، لا يزال غامضاً جداً ما يتعلق بالطبيعة الدقيقة للأداء الجنسي.

هذه المعرفة غير المكتملة أحدثت في نفسي نفور قوي لفكرة العلاقة الجسدية حتى الآن لأن ما حدث هذا يمكن فصله عن الرومانسية سابقاً، بعد مغادرتي المدرسة، طُلبت يدي من قبل أحد جيراننا - ضخم، شاب رياضي ذو عقل محدود ومبادئ إنجيلية، الذي رفض بشدة طموحاتي "غير الأنثوية"، ولم يكن من الممكن أن يجذبني أي شيء أكثر أهمية من سعادتي الطفولية الحلوة - كانت ردة فعلي الوحيدة وفوراً الشعور بالإذلال والاشمئزاز الذي لا يُطاق.

عندما كان على للمرة الأولى أن أقوم بتمريض حالة أمراض تناسلية - التي كنت قد رأيتها وردت في الصحافة فقط تحت عنوان غامض "الوباء الخفي" - لم أن أعرف حرفياً ما هو؛ كنت مثقفة جيداً فقط في العام 1917، حينما كنت أعمل في مستشفى شمالاً رأيت موت منتظم



لمصابي الزهري بالتشنجات بعد حقنهم بالسلفاسات. أخيراً، معرفتي قبل الحرب لأطباء وممرضي الجيش مستخلصة بالكامل من المثالية البالغة لقصائد كبلينغ، التي لم تفدني بالمساعدة لفهم الكلمات المكشوفة والحركات ، المناورات السرية البائسة، للرجال والنساء المعذبين من قبل العزل الغير اضطراري.

يجب أن يكون واضحاً الآن – الضحايا البسطاء كما أنا والأولاد والفتيات الحاصلين على تربية مماثلة، مع سذاجتنا، سماحتنا واندفاعنا الجاهل لمروجي الحرب في التجنيد الغير إلزامي للبلاد – عدد قليل من الشابات كان يمكن أن يكن أقل حذراً ومساعدة أكثر مني ، أنني كنت ضد الحرب بشكل عام، وخدمة مستشفى الجيش بشكل خاص.

## الفصل الثاني

سيدات الريف الشابات

في حديقة الورود

الندى على البتلات يتوهج وردياً،  
باسطاً أجنحة التفائل؛  
ما بالإمكان ، كما اعتقدت ان يكون أكثر صفاءً  
في كل العالم؟  
الخطوات التي كانت بسرور لكن تعثرت  
(ما باستطاعتها فعلهمكنها فعله أيضاً؟)  
مرت من ظل التعريشة  
نحو الشمس  
الظهيرة والبهاء العطر،  
ذهبي وردي وأحمر؛  
"ما بعد كل شيء ورود  
لي؟" قلت

ر. أ.ل

الحادي عشر من يوليو 1914

(1)

لكن عندما أصبحتفي العام 1912، الفتاة الريفية التي تظهر لأول مرة بالحفلات الاجتماعية، تزينتُ بملابس اشتريتها من لندن والتي لم أكن أعرف كيف ارتديها، ما زال على انتهاء الحرب عامين وخدمتي بالمستشفى أكثر من ثلاثة أعوام. ذاك العصر الفريد من المادية الفخمة والرفاهية الهادئة، التي نشأنا عند نهايتها لن نراها مرة أخرى، تراءى لنا ذهابنا منذ زمن سحيق، ليكون مكتوب علينا الأمان للاستمرار إلى الأبد.

في رقصتي الأولى، الحفل الراقص هاي بيك هنت، **جنت** في ثوب محتشم من الساتان الأبيض التقليدي المرصع باللؤلؤ؛ سمح لي هذا الزي الساذج تمضية الجزء الأكبر من الأسابيع القليلة المقبلة الالتفات صوب متاعب "الحلم" و "رؤية سالومة" بين ذراع الصاخبين والمحادثات الخرقة للشباب. هذه الرقصات كانت بجانب أنها لا تعني البهجة الخالصة كما

كانتتبدو، كانت من المفترض أن تختبر محاسن الشابات المقبلات على الزواج على مبدأ انتشار-كشركاء راقصين، وكان بالتالي مرافقة العديد من الوصيفات المتنافسات الاتي يراقبن المتابعات بواسطة كل إيماة من المخاوف والقلق اعتباراً من عقدة الدونية المغروسة دوماً في

واحد أو اثنين من أقراني الذين لم يخرجوا من الاختبار بالألوان المتفرقة، أنا أميل إلى اعتبار أن الراقصين الريفيين هم المسؤولون عن أكثر الدناءة أكثر من أي تجربة أخرى مبتذلة .

بعد ثلاث سنوات كنت أقوم بتنظيف مكتبتي قبل الذهاب كـ. فـ. أـ. دـ. إلى لندن – تاركة بكستون للأبد، على الرغم من عدم إدراكي ذلك – عثرت على شريط معقود لكومة من باكورة برامج الرقص موضوعة بعناية في الدرج. بذلك الوقت العديد من الشبان الحمقى اكتسبوا الاحترام عبر الموت في فرنسا والدردينيل، أن هذه السجلات لـ رقصاتي معهم تبدو وكأنها الهدايا التذكارية المتباعدة لعالم نصف منسي واختفى منذ فترة طويلة – العالم الذي غرقت فيه التاييتك فقط فجأة لكنه حقاً علق تنبيهها لأصحابها بإخفاق حسابات البشر. وضعت البرامج مرة أخرى بنصف حزين متحسر، بنصف متسامح محتقر ذاك الذي قد تحسه المرأة حينما تعثر على آثار لبعض حماقات الشباب.

في آخر عام 1912 والنصف الأول من عام 1913 ذهبت إلى العديد من الحفلات الراقصة، المكالمات المدفوعة، التزلج والتزحلق، لعبت قدراً جيداً من البريدج وقدر وافر من التنس والغولف، نلت دروس في الموسيقى قمتُ بالأداء في مسرحيات الهواة، في الحقيقة أمضيتُ أيامي في كل تلك المطالبات التقليدية التي تمثل رفاهية المرأة الشابة في كل جيل اضطرت فيه سعياً إلى ملأ الوقت الذي هي غير مؤهلة لاستخدامه. حتى محاولاتي المستمرة للمتابعة متوافق لأعراف سانت مونيكا، تعقيدات الحكم المحلي وويلز بصفة رسمية عبر انقطاع أعمدة صحيفة التايمز تدريجياً و ببطء وتوقفها لعدم وجود التشجيع الخارجي. كان امتياري الوحيد للضمير الاجتماعي تطور غير مريح بسبب تألف المدرسة المتعارض لزياراتي "مقاطعة" والداتي في قرية

بورباج، بالقرب من الكلاسة أسفل المنحى الشبيه بالمنجل لـ جرف أدج. هنا جعلت من نفسي فعالة من خلال توزيع النسخ لمجلس الأمهات، الجهاز الرسمي لذلك الاتحاد العجيب الذي يعتقد أن الإلزام الإجباري للشركاء المنافسين يقضي إلى حد ما إلى قداسة الزواج.

قراءتي المنقطعة والغيرمنتظمة كلياً لجورج إليوت، ثاكري، السيدة غاسكيل، كارليل، أميرسونوميرجكوفسكي صنعت القليل منا لانطباع على هذا الرتبة، على الرغم من أن كتاباتهم أعطت ترضيات لإخفاقاتهم المطلقة. "قراءة رمولا"، دونت بحماسة مذكراتي في السابع والعشرين من إبريل عام 1913، "لقد تركتني في حالة من الغضب! إنه لأمر رائع أن تكون قادراً على إتباع الكثير من النشوة (2 س. 6 د. ! ... تجعلني أتساءل كيف ستكون حياتي في تلك اللحظات العاطفية السامية التي يتم فيها دمج كل مشاعر الدنيا، والتي تترك روح المرء مختلفة إلى الأبد".

طوال تلك الأشهر التي شهدت إندلاع الحرب الأول للبلقان، تجديد التحالف الثلاثي، واتفاقية عظيمة لقطع الارتباك بشأن الجواسيس الألمان، لم أتوقف أبداً - رغم أنه الآن في كثير من الأحيان تفشل الروح منذ بدت الاحتمالات ترى صغيرة جداً والعقبات التي يجب التغلب عليها كبيرة جداً - في التضييق على والدي لإرساله إلى الكلية. وقد تلقى والدي هذه الإلحاحات المطردة ببيان مفاده أنه أنفق الكثير على دراستي بالفعل كما كان ضرورياً، وأن "الفتيات الصغيرات" يجب أن يسمحن لكبارهن بأن يتبينوا ما هو الأفضل لهن. لقد وجدت هذا السلوك الدمث مربك بغرابة غاضبة، لأنه في عيني لم يكن بالطبع "الفتيات الصغيرات" اطلاقاً، لكن في القرن العشرين يعهد الإنجيل - بتكليف إرشاد الكون الجاهل من الظلام الى النور.

الأهداف الظاهرة في تنشئتي تجري كما هي، لقد أدهشتني بعض معرفتي بأنني لم أرسل إلى باريس لأكون "مكتملة" - أعني أنه يتم تشكيلي بشكل أكثر تأكيداً في القالب الأنتوي البسيط الذي دفعني بكل غريزية وطموح شبابي إلى الرفض. اليأس من أكسفورد، مهزومة دفاعياً

بواسطة فكرة تأجيل الأقصاء المرعبة لبكستون، كنت حتى آخر فصل دراسي بالمدرسة، أتذرع مضلله لبضعة أشهر في باريس أو بروكسل. لكن والدي كان على ذات القدر من المعارضة

لباريس ككلية، علل أنه بمجرد وصولي لهنالك أنني سأعرض لالتهاب الزائدة الدودية – لا خوف غير طبيعي من جانبه، مع ذلك لم أكن أبداً مهددة بالمرض، وحتى الآن أفلت منه. أحبطت بالتلطيف الطفيف، وعدت مراراً وتكراراً إلى الهجوم الرئيسي؛ أصبحت الرغبة في حياة آتية وقلّة أقل تقيداً هاجساً، ولم يتبادر إلى ذهني أبداً الاعتماد على الزواج كطريق مؤدي إلى الحرية. مما كنت أعرفه بالفعل من الرجال بدأ من المحتمل جداً أن الزواج سوف يحد من فرصي استنتاجاً تفسره جيداً حقيقة أن جميع الرجال الذين أعرفهم لا يعيشون فقط في بكستون، لكن باعتباره المكان الأكثر رغبة للإقامة في إنجلترا.

كل رفض جديد لإنفاق بنس آخر على دراستي (على الرغم من تكلفة دروسي الموسيقية، والبيانو الجديد باهظ الثمن الذي تم شراؤه دون أدنى تردد ليّ لأتعلمه، كان من الممكن دفع ما يقرب العام في أكسفورد) أغرقتي نحو أقصى عمق الكآبة؛ شعرت بالتقييد والمكيدة، وبعد بضعة أشهر في المنزل كرهت بكستون، على الرغم من الجمال المنقن لقممها وأرضها والهواء الصحي الذي تسبب لكثير من مرضى الروماتزم بالعيش آملين في فنادقها والتعافي بمائها، كرهه لم أشعره أبداً منذ ذلك الحين في أي مجموعة من الظروف. ما يقرب المائتي ميل من لندن، بالتالي انقطاع تمام – في الأيام حيث كانت فيها وجدانية الأم الريفية تقدم ابنتها المراهقة للإغواء حيث يسمح لها بقضاء ساعات قليلة غير مصحوبة برفقة في المدينة أو يعهد إليها بالطفل أوستن كنوع من الحرية – من حشد الطموح، الأولاد والفنيات الأذكياء الذين تجذبهم طبيعتهم لبعضهم في المدن الجامعية والعواصم، كنت كلياً تحت رحمة الظروف المحلية وتقاليد الأسرة. لم يكن لدي ما أفعله ولا من أتحدث إليه؛ كان إدوارد معظم السنة

في إنجلترا، وأصبحت أكثر وأكثر بُعداً عن الاتصال مع مينا وبيتي مع مرور الأيام. حتى في الثامنة عشر، ما من امرأة شابة شرهة عقلياً لا تستطيع العيش كلياً على مشهد. شينين فقط أوقفاني أثناء الفصل الدراسي لإدوارد، من الموت بالاحتراق ذاتياً – يومياتي، التي

احتفظت فيها بالتفاصيل الهائلة التي جعلتني الآن أدهش لقيمة الوقت الذي لا بد من أن يكون بحوزتي، وتجلي راع الأبرشية العقلاني في القرية المجاورة صاحب الأطروحة غير التقليدية عن الانتقاد الأسمى الذي اتخذته كأبلغ تعليم، المنمق الحُطْب الدرامية، التي سيرتُ من أجل الاستماع إليها ثلاثة أميال كل أحد، بد لي الملهم الأكثر فصاحة. كانت العطلات أكثر احتمالاً بعودة إدوارد من إبنجهام الذي دائماً ما يجلب معه تدفق صاف للموسيقى، التي تضيف ولو فقط بالإنابة بعض وجوه للحياة. لم أكن أبداً أكثر من عازفة بيانو من الدرجة الثانية، كانت يداي صغيرة جداً بحيث لا يمكنها التمدد للثمانية بسهولة، لكن إدوارد - بالفعل عازف الكمان العاطفي الماهر - اعتمد عليّ لمرافقته في السوناتات المعقدة والكونشيرتو التي يحضرها للمنزل من المدرسة ، في أعياد الكريسماس، والفصح ومنتصف الصيف أذهب معه إلى الحفلات المحلية المقامة في المنازل، حفلات الهواة والمساءل الموسيقية، اجتهدتُ بعده أكثر على بريستشموسوالراييتانندوس، الربيجيوس، ترمولوس والعرضيات ، لبتهوفن السوناتا رقم 1، وأحان مندلسونوسبوغ، وتموج النغمات للقرن التاسع عشرة لـ اليساندرو سكارلاتي وبيتروديني.

تركنتني هاتين السننتين اللتين تسبقان الحرب في بكستون مشبعة ملياً بشكل من الزهو الذي لا اعتقد سوف أكونه أبداً للنضج، والذي هو، ربما الشيء الوحيد الذي لم أكن متأنية تعلمه. تعقيدات الطبقة المتوسطة الشائعة من الميلاد والثراء والإنجليكانية تبراتُ منهم فوراً واتخذت الابتهاج البريء للقيام بذلك؛ أو من أيضاً بأنني أعددتُ نفسي للحرية، رغم أن ذلك فقط في السنوات الأخيرة عن التكبر المخادع للبيوريتاني المحترم، مما يجعل النساء من طبقتي وجيلي يعتبرن الحياة الجنسية لأزواجهن كنوع من

الممتلكات الشخصية. وتعامل بالاستنكار القاطع أو الشعور الذاتي بالرعاية لأي سيدة عرفت في أي وقت أنها تنغمس في علاقات متعددة. ولكن منذ زهو الحضارية ، استعلاء اللندنيين نحو

سكان البلدة الصغيرة، لا أعتقد بأنني مُرشحة للتعافي على الرغم من صوت العقل الوقور – إذا هو الإباء المزعج لإنجازنا المحبوب – أخبرني بأن اللاسلكي والسينما ومحرك بص المسافات الطويلة من المحتمل تحويلهم المقاطعات حياً في التقدير منذ العام 1915.

بالنسبة لي انتصبت الريفية، و تحملت مجمل العموم لكل القيم الزائفة؛ هي تقييم للناس بما لديهم، أو إدعائهم الامتلاك، وليس بما هم. تصنيف مصطنع، خطوط معنته لتعيين حدود – لا تحمل أي علاقة على الإطلاق مهما كانت الميزة جوهرية، تبدو كأنها تنتمي إلى جوهرها الحقيقي في حين إزدراءها للذكاء، الشك والخوف من الفكر المستقل تمثل ضرورة إجتيار الشعبية الريفية. هذا يعني بأن الروح الانتقادية متجسدة لي بواسطة – من جانب الزوجة الضعيفة المتذمرة لمدير البنك المحلي التي اصطحبتها أمي، كامرأة شابة متزوجة تقدم أول حفل عشاء لها في ماكليسفيلد، بصرامة لمهمة الامتلاك "مزجها بمجموعتها".

في بعض المدن الريفية الكبرى يبدو أن الحياة المترفة والمغامرة ممكنة وهي خالية من هذا الانتقاد التافه؛ أفكر بصورة خاصة بمانشستر، حيث اعتدنا الذهاب ليوم واحد من أجل التسوق. موطن مثل هذه العائلات البارزة كـ بانكهيرستسولاسكيسوسسيمونس، يبدو أن مانشستر نجت من وصمة العار للريفية – ربما على حساب السمعة الوطنية لـ صحيفة مانشستر غارديان (التي لم نراها أبداً في بكستون فالأسرة تفضل نسخة مانشستر من الديلي ميل)، ربما أكثر من ذلك لأن مرتادي العمل الجاد في المدينة يبقون على أفراد عائلاتهم المرفهة خارج الضواحي المحيطة . يبدو أن التعجرف الاجتماعي والقيم الزائفة تمتد إلى أوجها في المدن التي يتراوح عدد سكانها ما بين العشرة والعشرون ألفاً. بكستون ، التي كان يصفها والدي بـ " الصندوق الصغير للتنافر الاجتماعي المُلقى في قاع الحوض "، يجب أن يكون

عدد سكانها حوالي اثنتي عشرة ألفاً فيما عدا للزوار الذين جاءوا لأخذ المياه .

لم أكن، أُعتبر، شخصاً ذو طبيعة انتقامية، لكن في تلك السنوات حينما تغطت التلال بالمرج البهية محيطة بكستون مثلت بالنسبة ليّ جدران السجن، اعتدت القسم لإدوارد أنه ذات يوم من الأيام سأخذ بثأري في رواية- وفعلت. لم يحصل أي من كتبي على مبيعات ضخمة وكان أقلها نجاحاً روايتي الثانية "ليس بدون شرف"، لكن لم يسبق لي أن هنتت بأي تجربة أكثر من كيفية تصفيق بُغضي داخل قصة للحياة الاجتماعية في بلدة ريفية صغيرة.

## ( 2 )

أحياناً، خلال إجازات إدوارد، اعتدتُ انتساب الأحداث المخصصة له لتبدو في هذه الكتاب بنفس الطريقة. أثناء طفولتنا كنتُ أبقيه مستيقظاً ليلاً مع الحكايات الأسطورية "ديكس". كان لا يزال مستمعاً جيداً أبداً، لأن شغفه الأهم بحياته وهدفه الخالص لطموحه كان، كما في سنواته السابقة كمانه.

أنه، وكان دائماً من الصعب تقدير جوهر إدوارد حقاً في سنواته الأخيرة في أبنجهام ويصبح أكثر صعوبة مع تقدم الوقت، جاء بعد فترة وجيزة من إندلاع الحرب، ليفيدني ذلك كثيراً، وأناله، إنني أتساءل أحياناً عما إذ أن أي منا يعاني تماماً من فهم جانب الآخر من علاقتنا المتبادلة الوثيقة جداً. بالتأكيد كان وسيماً؛ في اختلاف متناقض ليّ خمس - أقدام - لي ثلاث، كُبر ليكون طوله جيداً أكثر من ست أقدام، لديه شعر داكن ناعم، عيناه بنية قاتمة تحت أهداب كثيفة طويلة وحواجب سوداء مقوسة، مما أعطى بعض الحقيقة لنظرية والدتي أن لها في عائلتها دماء فرنسية أو إسبانية على بُعد قليل من الوراثة. في سن السادسة عشر كان مائلاً ليكون بالأحرى مترناً ومستقيم الذات - ليس مثل هذه الصفات في مرحلة المراهقة سيئة بعد كل شيء، بما أن معظمنا يجب أن يكون مستقيم الذات قبل أن نستطيع أن نكون صالحين.

في الوقت الذي وصل فيه إدوارد التاسعة عشر، كان قد اكتسب أسلوباً ساحراً لطيفاً هيراثاً آخر، ربما من جدنا الموسيقي الذي أكسبه قدراً كبيراً من الشعبية وكان مؤثراً بشكل خاص



في المقابلات مع كبار الضباط ومسؤولي مكتب إدارة الحرب، لكل تحت وجه جيد أنا والآخرين الذين عرفوه جيداً إصطدمنمراراً لقاء شيئاً عنيد وقوي مباشرة ولا نستطيع اختراقه – "مثل وريد الصوان خلال جندل رقيق"، كما وصفته في بومباي في عام 1914. ذهنيًا، أفترض أنه كان ذكياً بالأحرى أكثر تثقيف، اقتصر تذوقه للأدب على المسرحيات، القصص القصيرة وبعض القصائد التي لها بعض الأهمية العملية، وعلى الرغم من فوزه بالعديد من الجوائز الجيدة كتلميذ صغير فقدما باستمرار عندما كبر. في أبنجهام كان منتظماً الثاني أو الثالث في رتبته؛ تقاريره المدرسية، بالإضافة لتلك من أساتذة الموسيقى، لم تكن أبداً رائعة ولم تكن أبداً مرضية.

كان شغفه الفاتن الوحيد الموسيقى، التي أضافها بإصرار مطرد بأن جدنا البائس كان فقير الشهرة. في السابعة عشر بدأ بالفعل في تأليف الأغاني والكونشيرتو؛ وبمجرد أن أصبحت نوته موسيقية في يده أصبح مخلوقاً مختلفاً، إنفعالي، منتبه، منهمك. حول الآلات الأخرى غير الكمان – الأرغن، البيانو، الكمان المتوسط الأوسط – أصبح مؤدماً مقبولاً بعد القليل جداً من الدروس كما كان موهوباً حقاً كعازف كمان، كم كان واعداً كملحن، لا أستطيع الآن التكلم، على الرغم من أنه قد يكون ذو أهمية كبيرة لي السيد ر. استرنديبينيت في أبنجهام والسير هيو (حينذاك دكتور) ألين في جامعة أكسفورد كلاهما كان مهتما بشدة بإمكانياته.

تباينت خطط والدي له ما بين خلافته له في مصانع الورق – المهنة التي كان يجب أن أكون الأفضل لها أكثر من إدوارد، الذي لم يكن لديه طموحات في مجال الأعمال والعمليات التجارية – والخدمة المدنية الهندية، التي أوضح عنه رئيسه الرسمي أنه لن يجتاز الامتحانات اللازمة. في أحلامه الخاصة كان إدوارد دائماً ما يرى نفسه مؤلف موسيقى مشهور رقيقاً

لمبتدئي السير هنري وود، لكن كان لديه الكثير من التحفظ ليلح على والدي بموهبته المزعمة

، الذي يعتبر الموسيقى (للرجل) واحدة من غير الضروريات الحياتية، واعترض منفجراً دائماً على أصوات عزف الكمان.

طبيعة إدوارد الصحيحة قادتته إلى تفضيل طرق الإقناع الملتوية لوضوح محتجيث كنت متعودة إثارة معارضة والداي به. " صغيري العزيز! حزين جداً!" إعتاد على الملاحظة مع تسلية مقتضية كلها خرجت، لاهثة، وغازبية من واحدة من لقاءاتي الشرسة مع العائلة. خلصة عزم على قراءة الموسيقى كما عظماءها في أكسفورد، وترك مستقبله تحكمه النتيجة. كان، أعتقد، مرتاح داخلياً عندما فشل في الحصول على منحة للالتحاق بالكلية الحديثة في عام 1914، ولكن اجتاز في سهولة كطالب في أكسفورد اطروحته؛ وبالتالي تحرر من واجب العمل للحصول على درجة الشرف العليا التي من شأنها أن تداخل كثيراً مع الوقت المتاح للموسيقى. على الرغم من محدودية مهاراته للمنح الدراسية واهتمامه المنقطع في جميع المواد الغير موسيقية، رفض إدوارد فكرة التعليم الجامعي مطلقاً، بقدر ما اجتازت عقل والدي. لقد أحببته كثيراً جداً حتى عندما كان لا يزال في المدرسة لا أكون غيورة عليه بالذات خاصة وأنه كان دائماً مؤيبي الشهم، لكن كان يجب أن أكون أكثر صبراً وسلاسة أكثر مما بدوت دائماً لـ أي إشارة لائقة إذ لم أكن استاء من مكانته المتميزة كصبي. أكثر المجالات لتقارير المدرسية لم تحصل أبداً، كنت أعلم، اعتبرت أكثر أهمية من شغفي المتعب إلى المعرفة والفرص، في عائلتنا لتكليف عبارة مشهورة في الوقت الحاضر، ما كان ذا أهمية لم يكن نوع العمل، لكن جنس العامل.

الراسخ بالنسبة ليّ البراهين المثارة لهذا الاختلاف في السلوك ناحية إدوارد ونفسي بعنف ثبات للاتجاهات النسوية التي اكتسبتها لأول مرة في المدرسة، والتي كانت بشكل غير مباشر لكن بالتأكيد تطورت بواسطة الدراما الصاخبة لحركة مناديات الاقتراع النازحة من لندن.

"من المؤسف أن تكون امرأة!" كتبت في مارس 1913 – ذات الشهر بحيثتم تقديم قانون

"القط والفأر" لأول مرة

للمساجيين الذين يعانون . "يبدو أن الرجال لديهم الكثير من الخيارات فيما يتعلق بما هو مخصص لهم".

مر الوقت - أو هكذا على الأقل، بإعزاز أو من - غيرت من سخطي الغاضب على بكستون إلى لين والكثير من الآراء المتوازنة، لكن من المحتمل لا توجد فتاة طموحة عاشت في أسرة تعتبر أن خضوع لمرأة جزءاً من النظام الطبيعي للخلق تتعافى تماماً من مرارة مشاعرها في وقت مبكر . ربما فقط هو كذلك؛ لا يزال أمام النساء طريق طويل للسير قبل أن يتم تقييم إنجازاتهن بدون اهتمامات جنسية غير ملائمة تدخل في حيز الحكم الناقد، وحتى نجاحاتهن السياسية الأخيرة ليست آمنة بعد بحيث أولئك الذين يستفيدون منها يمكنهم التخلص عن المساواة المصرح بها منم هم لا يزالون محترسين، ولا زالوا يسيرون بحذر على المسارات المحرمة.

( 3 )

في وقت مبكر من العام 1913، عندما تخلت تقريباً عن آمالي في الهروب من الفتاة الريفية ، جاءت أول الإشارات الغير متوقعة للإنتلاق في نهاية المطاف .  
أحد مساءات ستافورد شاير الربيعية المعروفة - محامي العائلة القديم - جاء لقضاء الليلة بمنزلنا. دُفعت بحكمه من قبل والدتي، التي بدأت الآن - ربما لأن رفضي تكييف نفسي مع بكستون قد أفتعها الآن - سراً للتعاطف مع مفهوم الكلية، بدأ حين وقت العشاء الحديث عن أكسفورد، وأدركت أن ابنه الأكبر الذي لديه منحة دراسية هناك قد ذهب للتو بعد حصوله على درجة باهرة.

والدي، لا يظهر المباركة الشخصية للوالدين ، ولم يشر فقط بعزمه على إرسال إدوارد إلى أكسفورد، لكن زج بمطالبي المستمرة بالذهاب إلى الكلية لتشكيل التوازن. لدهشته، أخذ زائرنا هذا التعبير عن الطموح الإنثوي كأحدى القضايا ، بل ذكر واحدة أو اثنتين من معارف ابنه  
ضمن الطالبات.

مثل العديد من الرجال الذين تم تنشأتهم دون علاقات أكاديمية، كان والدي في بادئ الأمر أكثر

استعداداً للاستماع إلى أصدقاء العائلة دون استثناء أي حق لأرائهم، ثم إلى الخبراء غير المؤلفين بكل مؤهلاتهم لتقديم المشورة.

الحقيقة أن له صديق قديم محترم للغاية اعتبر أن وجود النساء في أكسفورد كما بأي حال من الأحوال رائع ، بالتأكيد تسبب له في إعادة النظر في رأيه على عموم موضوع التعليم العالي للبنات. اكتملت عملية التغيير هذه من خلال دورة محاضرات الإرشاد الجامعي المقدمة بواسطة السيد ج. أ. ر. ماريوت -حالياً سير جون - في بكستون هول تاون خلال ربيع 1913. في السنوات الأخيرة قد سمعت في بعض الأحيان انتقادات لسير جون ماريوت من قبل خصومه السياسيين في أكسفورد وأماكن أخرى السواء. هذه الانتقادات الحزبية عادة ما تعني الكثير أو القليل المباشر، أن الخبرة الطويلة كأستاذ جامعي لا تلائم رجل أو امرأة للحياة السياسية، وأنه كان من المحتمل بسبب سماته الأكاديمية قد فقد سيرجون السلطة التقديرية الآمنة في أكسفورد ويورك.

في هذا البلد إلى جانب المؤسسات الجامعية، هنالك بالتأكيد خطّوياً من الصعب عبوره بين العوالم السياسية والأكاديمية - الخط الذي في أجزاء أمريكا أصبح مبهم بمزاياه لكلا الجانبين. انطلاقاً من خبرتي كخريجة أحد الجامعات وزوجة أستاذ يتبعلاًخرى، يبدو لي أن الحياة الأكاديمية في أي بلد تميل إلى جعل الرجال والنساء على حد سواء محصورين، انتقاديين ونو أهمية ذاتية. أعتبر زوجي ضمن الاستثناءات، لكن واحد أو اثنين من أقرانه أساتذة الكليات الشباب لقد كانوا مسؤولين عن بعض من التباينات الأسوأ للسلوكيات السيئة التي واجهتها على الإطلاق ظاهرياً أكثر الأساتذة نشأوا من هذه الفظاظة المحترقة مع مرور السنين؛ الأساتذة الكبار، على الرغم من عدم موافقتهم، يكونوا على الأغلب دقيقين . على العموم وجدث أن الأساتذة الأمريكيين ذو كياسة أكثر من الإنجليز، وأولئك المنتمون للجامعات الريفية أكثر براعة من تنوعات أكسفورد وكامبريدج.

على الرغم من ذلك ،ننسب لسير جون ماريوت فظاظة خصائص

أكسفورد الأكاديمية التي تبدو ليأن افتقار البصيرة لخصوم الحزب طالما شجعهم في أنفسهم.

(أكتب هذا دون ضغينة، لأنني أنتمي إلى ذلك الحزب الذي منهجه لعنة على السيرجون وزملائه ، اليوم أستطيع أن أتفق مع القليل من آرائه السياسية، لكن إذا كان مصدقاً لكل شروط معاهدة فرساي لتكون إلهام قدسي أعتقد أنه يجب أن أعذره ، إذ ما زال عميق امتناني لمرحه و توسطه غير المحسوب في دقيق مسائلي). لا يمكن لأي شخص أن يكون أقل احتقاراً لطرق العيش غير المألوفة، أو اهتمام أكثر في طريق التجربة. في المناسبة الوحيدة التي التقينا أتذكر كيف أقنع والدي ببراعة – تحادثوا باندفاع جذل عن تقنية صناعة الورق، واخبره التاريخ المتواضع لمصنعنا.

بالنسبة لي، يبقى سيرجون وسيبقى دائماً الأذكى، الأستاذ المعلم المثير في حضوره الأنيس مديباً للبعد التعجيزي كما تساقط الثلوج في أبريل. يرمز إلى المدد الغيبي لصغري البرئ، الأولمبي الذي أنصت دون تلميح للمحسوبة أو أهمية إنهاء تسلية غرور الفتاة قليلة الخبرة، والطموحات البريئة. له أنا مدينة بانتصاري الأخير بشأن مواجهة أسرتي، إفلاتي من أجواء بكستون الغربية، والتعليم الجامعي الذي أمفي في نهاية المطاف أخيراً بنوع الحياة التي أردت أن أقودها إنه دين أقدره بامتنان متواضع، ولا يمكن أبداً أن يأمل هو مكافأته .

كان أكثر متحمساً متفائلاً لتعليم الكبار بالكاد واصفاً أن محاضرات بكستون الإرشادية حول مشاكل الثروة والفقر بالنجاح البارز. في الأول بقيت بعيدة من الذهاب للرقص (هذه المسافة بالفعل أسقطتني من البهجة) لكنني حضرت وكتبت – الكاتب العادي الوحيد الذي خرج من المدينة بأكملها – لجميع الخمس الآخرين.

أعطا السيرجون أفضل ما لديه من نشاط قوي وشعبي، بل رسول من السماء لا يمكنه إلا الإعجاب بارهاقه وجهوده المتضائل، الذي خرج من نصفها الكبار سناً وجاء

مُخدري الاعتبار لمشاعر السكرتير المحلي ، والنصف الأصغر والثابت تحت الإكراه من قبل

والديهم . كان كما أعتقد، عند المحاضرة الرابعة أو الخامسة أنه تم نقله ليقول لمستمعيه المتثابرين أن بكستون لم تهاجمه كـ باحث خاص- ملاحظته أدت إلى قدر كبير من محاضرات النقد المعاكس في حفلات الشاي اللاحقة.

سمعت أيضاً عن سيدة ضخمة (التي أطلق زوجها اختبار يجيب على جميع الأسئلة الثلاثة الاختيارية بدلاً عن اختبار واحد كما قيل له أن يفعل) لاحظت لإدراكها المتفهم بأنه لم يعجبها سلوك "الرجل" أبداً، وأنها سمعت أنه جاء فقط إلى بكستون لأنهم لن يكونوا معه في أكسفورد! مقالتي المستمرة عن الثورة الصناعية، مشكلة التوزيع، تاريخ النقابة التجارية و بروز الحركة الاشتراكية، يجب أن يكون فظاً وواضحاً في الحزم، بما أن لا المكتبة المحلية العامة ولا المجموعة الصغيرة من الكتب المدرسية على أرفف غرفة نومي تحتوي على أي أعمال صائبة سواء في التاريخ أو الاقتصاد ، لكن التقارير التي تلقيتها من السيرجون كانت مشجعة بما فيه الكفاية ليصفها والدي بـ "شرف عظيم من رجل أكسفورد".

بلا شك - كما اكتشفت منذ ذلك الحين عندما أحاضر نفسي - بعض الأبلق للحماس كان يستحق. وقعت على أول جهد مبدئي ليّ بالأحرف الأولى فقط وحينما ارتقت منفعة للمطالبة به قدم السيرجون مفاجأة ضخمة - كذلك ربما فعل ، لأنه لا يمكن لأحد أن يكون أكثر نضجاً، أو أقل قدرة على التعبير بفكرة مترابطة مما فعلت في تلك الأيام. بالنسبة لكل التناير الطويلة والصفائير الإمبراطورية المتقنة لم أفلح أبداً بالظهور أكبر من خمسة عشر سنة وقت إندلاع الحرب.

بناء على استدعاء من السكرتير المحلي - المرأة المثقفة التي كانت لا داعي لقول فقط على هامش "المنصب" - وافقت أسرتي على استضافة السيرجون لأجل آخر محاضرة له. في هذه المناسبة أرجع مقالتي الأسبوعية داخل المنزل بعد عودتنا من قاعدة البلدية التي شبه فارغة الآن. دفعني إطراءه للحديث في حضور والداي ،

عن رغبتني القوية في الذهاب إلى أكسفورد، وطلبت مشورته فيما يتعلق بالخطوات الأولى التي

يتعين علي إتخاذها. الأمر اللطيف للحقيقة التي قدمها يبدو لتبديد كل الشكوك وجعل الاعترافات الاعتيادية تبدو بسيطة للغاية بحيث لن يذكرها أحدهم مرة أخرى. غادر في صبيحة اليوم التالي، تاركاً شعوراً غريباً بالفراغ حيث تواجهه المشوق، معطفه التويدي ومضارب الغولف حيث تكون. لا أظن أنه فكر مرة أخرى في منزلنا، أو أدرك على الأقل كيف غيرت زيارته الخاطفة الأجواء .

( 4 )

بعد ذهاب السيرجون لاحت التغييرات ،قياساً بالجمود التام في العام السابق حدثت بسرعة كبيرة، تقدمت إليها، وفزت، منافسة المقالة التي نصحني بها لأحاول الاتصال باجتماع أكسفورد الصيفي لذلك العام؛ وأيضاً تلقيت وقبلت؛ دعوة للبقاء في سانت هيلدا للاجتماع نفسه مع خالتي والسيدة هيث جونز.

كانت نتيجة مسابقة المقالة مزيداً من الامتنان لتباشير فجر الفخر في إنجازاتي المتواضعة التي أثارها تشجيع السيرجون في والدي. قبل ذهابي إلى المدرسة الصيفية أخبرني بأنه قرر إرسالني إلى أكسفورد لمدة عام، ولم يبدو متضيقاً بإفراط عندما عدتُ إلى المنزل مع إفادة – إذ توافرت الإخبار لي كما له – ما إذ كنت أريد التحصل على درجة علمية يجب أن أبقى بالكلية ليس فقط عام واحد لكن لثلاث أعوام.

ذهبت إلى سانت هيلدا في حالة من النشوة المذهلة التي لا أعرف الآن ما إذا يجب اعتبارها مضحكة أو عاطفية أو لا تصدق؛ أتمنى فقط أن أكون قادرة على الإحساس تقريباً بكل شيء. "أوه، عندما أفكر في كل شيء"، كنت قد كتبت في يومياتي بنشوة بارعة بعد قبول دعوة خالتي، "أشعر كما لو كنت في حلم أخاف الاستيقاظ منه. أكسفورد! ما لا يستوعب العقل! أعظم رومانسية في إنجلترا – البهاء الغض للزمان والإنتماء ،

أحسن محاضرات العالم حيث يمكن أن تحضر، دُور الكتب المُذهلة والمكتبات القديمة الساحرة،

مجتمع السيدة هـ . ج والسيدة ب. ، أفضل ما يمكن أن أرغب فيه على الأرض للالتقاء بكل جماعة المفكرين المتشوقين الأنسة هـ. ج تعلم - يا إلهي، أشعر بالشفقة على انفعالي الشديد والاعتراف بذلك قد يأتي لحدوث أفضل مما كنت احلم!".

حينما وصلت لجنة الأرض هذه لم أكن غريبة كفاية، على الأقل مثبته. حتى المحاضرات "أحسن محاضرات العالم حيث يمكن أن تحضر" جاءت كتوقعاتي - الحقيقة التي بدت لي تشير إلى أن عدد قليل من المحاضرات المعتادة للفصل الدراسي يمكن أن تكون أدرجت في برنامج الكلية الصيفي. كان هناك ضوء على ممري ودوخه سكره بين الهواء، البنايات القديمة تحت أشعة شمس أغسطس بدت وكأنها متوجة بمجد ذهبي، تعثرت صعوداً وهبوطاً في شارعها العلوي بين سانت هيلدا وكليات الاختبار بأقدام مرحة رشيقة كأمنياتي المحلقة.

رفيقي "شديد التوق" كانت مجموعة اللقاءات الصيفية المعتادة للعطلات الخالية، معلمات الكلية حين العطلة، رواد الجوقة الأبوية، وشباب جادين في كنزاتهم المعركة وياقاتهم الرخيصة، لكنني اعتقد بأن جميعهم موهبين جداً ومهمين بشكل هائل، أخبرني أحدهم أنه بعد أقل عقد من الزمان على أن أحاضر لإجتماعات مماثلة، يجب أن أرفض صراحة تصديقه. حتى إذا كنت مهابة من الجماهير فإن المحاضرات تبدو لي على الأقل في مستوى الملائكة والروح وكل رفقاء السماء. وبما أنهم لم يدرجوا فقط السير جون ماريوت تحت النظام الملكي لفرنسا وإنما الكاهن إنغا الوقور، المتعمق والجزع قليلاً من الأخرويات في العهد القديم، كان لي بعض العذر للاعتقاد بأنني ضليت الطريق بالصدفة نحو حلقة أكثر تميزاً في التسلسل الهرمي السماوي.

الحقيقة أن السيرجون قد طلب مني العشاء معه في ذات مساء بينما كنت أراقب المدرسة أضاف القطرة النهائية لكأسي من الإثارة. نبض مع الرهبة والاندهاش، عرفت نفسي داخل منزله في شارع نورثمور، حيث قابلت زوجته الجميلة والأنيقة، ابنته الذكية التي أصبحت فيما بعد، باندهاش إلى حد ما

منغمسة في الجمعية الأسقفية للنبات. كان ملحوظاً جداً تغير آفاقي منذ الربيع، تحدثنا عن مستقبلي الجامعي كخلاصة سابقة مفروغ منها، مما لا شك فيه أن السيرجون قد وضع في الاعتبار حياة آمنة لفتاة بكستون، من المسلم به أنني يجب علي محاولة الإنضمام إلى سكن السيدة



مارجريت الجامعي، لهذا كانت دائماً الأكثر طاغية من كليات أكسفورد النسائية الأربع، وفي تلك الأيام كان اللبس منتظم ، مثل معهد بكستون، "مدرسة سلاطات النبلاء" سيما. (بالأحرى، نبلاء الإنجليكان، بالطبع).

ارتعش، لكنني مصممة، بالرغم من الامتحان والإعجاب للذان شبه اضعفاني ، ناقضتُ اقتراضه. تحدثتُ بالفعل حول الكليات الأربع مع شريك أعمال والذي السيد هوراكا هرت، ثم مدير مطبعة جامعة أكسفورد، الذي أخبرني أن سومرفيل كانت غير طائفية وهكذا أصبحت، "بسبب معيار الاختبارات العالي أصبحت أصعب الكليات النسائية في القبول " .

من نوافذ مطبعة الجامعة السيد هرت وأنا كنا ننظر عبر شارع والتون على جدران التراكتاوسومرفيل المتكاسلة تحت شمس الظهرية وجدتها أسرة لا تقاوم على حد سواء حديقته المغلقة ومفهوم زهوها وقوتها العقلانية على حد سواء، لكن ربما ما هو جوهرى لإنجابي - ما زال متحكماً بها لاهوتيا كتاب روبرت إسميرال وعقلانية قسيس بكستون - كان لتسامحها الديني. لذا أخبرت السيرجون إنه لم يكن آمناً اجتماعياً رئيسة سكن السيدة مارجريت الذي كنت قد رتبت لرؤيته، بإستثناء المدير المتبحرو المتوعد من سومرفيل.

تم تحديد موعد معها الساعة الثامنة ذات مساء بعد العشاء. لا يمكن وصف شعوري الجدل، بل بالتأكيد تزعت ساقى تقريباً، حينما وجدت نفسي لأول مرة داخل حديقة مسورة، أبصرت المرج المترامي والكثيف، تدلي الدردار و الجميز في تلاشي سريع للضوء. التفتت بالمديرة التي هي تماماً مثل "الهرة النمرية"، لاحظت ذلك فيما بعد بمذكراتي - قبل توقعيرؤيتها، جلستُ بعد شرب القهوة معمرشدة التاريخ على امتداد محصور من النجيل خارج غرفة كبار العامة.

بينما أتابع المرشدة عبر الحديقة، نهضت المديرة لتحتي. لها قامة طويلة جداً، يبدو أن التكوين الزاوي سيستمر في التمدد لعدة دقائق إزاء عيوني الوجلة، والهوة الشاسعة للمرج بيننا جعلتني أكثر خجلاً من المعتاد لقامتي المتواضعة. كنت جاهلة تماماً من (جين البسيطة) ولا تراها تجمعيات أساتذة أكسفورد النسائية، لقد تغيرتُ طمياً، متوافقة مع خياط بكستون، في ثوب مسائي، كنت مرتدية عباءة دانتيل مهلهلة تحت معطف ساتان باللون الأزرق الباهت والرمادي

، وزوج زهيد متواضع من الاحذية نو كعب عالي من الجلد السويدي المزأبر. بخلاف ذلك اللبادة العرفية والمطري من اوساط 1913 كانت الطالبة بهذا الزي على الموضة الريفية، ذاك حقيقة بالضبط ما أشارت إليه المديرية عندما قابلتني خلال اختبارات المنحة في مارس التالي "تذكرتك"، قائلة مباشرة، "أنت الفتاة التي التقت بي عبر المرج في عباءة زرقاء مسائية".

لكن في هذه المناسبة الأولى لإطلاتي الزهيدة مشوبه جنباً إلى جنب مع إكمال ناقص من شهادات الامتحان وجهلي المؤسف أيضاً بالأبجدية اليونانية، من الملاحظ قناعتها بأنني كنت مرشحة غير واعدة على نحو فريد ، لكنها بصبر وصفت لأذناي الخائفتان السور الشائك من الامتحانات الذي لا بد أن يتسلق قبل الطموح بل التأهيل غير الكامل لفتاة شابة تأمل في الالتحاق بسومرفيل، و كما يجب أن يصدق يبدو لها أنني لا أعلم ذلك، اجتهدت لتجعلني أفهم الاختلاف بين الامتحان الأول لأكسفورد وامتحانات الالتحاق بالكلية.

ختاماً، نصحتني بإختيار الإنجليزية (وقتئذ، كالآن، "موضوع المرأة" لدى أكسفورد)، لإعفاء نفسي من الامتحان الأول للشهادة (بما أنني لا أعرف اليونانية) بواسطة أكسفورد العليا المحلية وبدون اعتبار لمحاولة الحصول على المنحة. أخيراً تركتني عند البوابة مع حزمة مطبوعة من اللوائح في يدي وعادت إلى ريفقتها، حاسبة جزء من الارتياح أنه من غير المحتمل رؤيتي مرة أخرى.

مع ليلة يلفني الألم في الجزء الأكبر منها، جلست بغرفتي

الصغيرة بسانت هيلدا بذهول حول هذه الاوراق. في ذلك الحين غادرتني خالتي والآنسة هيث جونز، السيدات الأوائل اللاتي اهتممن بي تركنني، أعلم أنهن أكثر جهل من نفسي حول كليات النساء، بينما كنت على دراية جيدة بأن لا أحد داخل المنزل أو في بكستون سيعتبر تلك اللوائح من البدائل المربكة مع أي شعور أكثر مساعدة من التبرم المحير. أكثر من مرة نبت في دموع غاضبة من اليأس القاطع . لا أحد على دراية بقواعد الامتحان لديه فكرة عن ما اللغة العربية

والسنسكرتية يمكنه إبداء القلق ، مرشحة شابة بسيطة لديها فرصة حقيقية للنجاح مستندة على ترجمة صحيحة لتعقيدهما الصعبة.

كما كان، قطعاً إستوعبتن معطيات سومرفيل الحقيقة أنني إذا كنت راغبة في الحصول على الدرجة في البعيد والمستقبل المستصعب إبان إحراز النساء الشهادات، أكسفورد العليا لن تقصيني من الامتحان الأول لليونانية، وأنه لا يزال يتعين على أخذ الموضوع لاحقاً. لذا بدلاً من معالجة المبادئ الأساسية للقواعد اليونانية، أعددت نفسي لمهمة صعبة حتمية لبلوغ درجة عالية في الرياضيات- دائمة نقطة ضعفي- وفي اللاتينية، التي كانت لدي عقدة إدراك بحتة، لأنها لم تكن مدرجة في المناهج الشائعة في سانت مونيكا قبل العام 1914.

أخيراً عندما ذهبت إلى الفراش عند الفجر كان النوم مُبعد حقيقة برجوع اليأس المُظلم الذي طالما استحوذ علي في بكستون. لماذا، أتساءل، هل الناس في وقت سابق أو آخر كانوا هم الشباب أنفسهم، ومن يجب أن يعرف بشكل أفضل إذاً، حيث التعميم الأكثر لباقة وأكثر كذباً بشأن الأوقات الذهبية للشباب- تلك الفترة من الحياة حيث يبدو كل حزن دائماً، وكل نكسة تعجيزيه؟

خلال تلك الليلة التعيسة اعتقدت تماماً أنني قد تغلبت علي الاعتراضات النفسية للحياة التي كنت أرغبها بشدة، فقط لأنني أحببتُ بسذاجة ونقيصة أكاديمية. والدي المتأني ببطء ، أدركت أنه يجب عدم المطالبة بتمويل تجهيزات اثنين من التمارين لامتحانين منفصلين، وحتى لو كان يمكن إقناعه

للقيام بذلك، من كان هناك في بكستون قادراً على إعدادي لدراسات الالتحاق بالكلية؟

هذه الصعوبات، وضعفي في اللاتينية والرياضيات، ذلك يعني أن مرشد أكسفورد الكئيب الذي يجب أن أتدرب عليه. بطريقة أو بأخرى ينبغي أن أبذل قصارى جهدي مع انجليزية سومرفيل دون مساعدة، على الرغم من أنني لا أملك أي كتب، ولا توجد لدي فكرة عن المعيار الذي يجب

أن أصل إليه، دون معرفة- منذ الإعدادية ومدرسة البنات العليا كانوا خارج نطاق تجربتي-من المؤهلات المحتملة لمنافساتي، ولا أحد- لأنني أخاف أن أزعج السير جون الرائع أكثر من ذلك- لمن ألبأ للحصول على المشورة. جيبني الفلق عند إمكانية التحضير لهم سوياً، خلال لعبة البريدج والرقص اللذان استحوذا على أجواء بكستون، بدل الامتحانين، الالتحاق بسومرفيل سيأخذ في مارس، وأكسفورد العليا في يوليو القادم.

لم أعود إلى بكستون، كي ألقى رزانة إدوارد البشوش، المنزل لاجل العطلات قررت أخيراً، ليس فقط لأخذ فرصتي للنجاح رغم معاكسة مذهري، لكن لاتخاذ سياسة أكثر شجاعة مما كنت أعتقد حقاً أنها ملائمة.

" لماذا لم تختاري مدرسة سومرفيل؟" محتجاً إدوارد، كنا نمارس ضربات التنس ضد الحائط القرميدي في الفناء الخلفي المحدود ذات ظهيرة. " لماذا ركزتي على الالتحاق؟ لديك عقلية أكثر بكثير من معظم الفتيات".

" كيف لي أن أعلم بأنه لدي؟" مستفسرة، لسبب ما.

" أوه، أنا متأكد بأنه لك! معظم أخوات الفتيان هن هكذا حمقاوات... أيضاً العجوز ماريوت لم يكن ليصنع كل هذا عن مقالاتك. كنت أحاول للمدرسة لو كنت مكانك، لفعلت حقيقة. لن تحسلي على واحدة، بالطبع، سيكون لديك فرصة أفضل بكثير في الحصول عليها من أخذ أطروحة نونية الالتحاق".

بعد إسهاب قررت، علي التعلق بنصيحة المديرية الحكيمة، لتحمل العبء الإضافي لامتحان المنحة، جزئياً لإغاضتها لافترضها الواضح والممكن الصفح عنه أنني كنت حمقاء بالكامل، جزئياً من أجل احترام إدوارد الذي أقدره، وجزئياً لأنه في تلك الأيام كان الأمر الصعب هو سحر الإرادة، أغواني على الرغم من القدر الكبير من الحياء الطبيعي، هبوط الطرق غير المألوفة والمزعجة من الخبرة. لقد كنت مغامرة بما يكفي لاختيار الكلية بأعلى مستوى للمنحة الدراسية، قد اكون أقل حماقة كثيراً ومحاولة الدخول من قبل أكثر الأبواب صموداً.

الأشهر القليلة القادمة كانت صعبة للغاية، لكنني استمتعت بها جيداً. لم يعد ضميري يهزني لأنني أغفلت القراءة عن بندقية تدار في أولستر، أو لدراسة تلك المعاهدات المؤقتة في منطقة البلقان شديدة الغضب وهو ما تزامن مع ذلك الاحتفال المثير للسخرية افتتاح قصر السلام في لاهاي. حتى حركة حق التصويت التي كنت مهتمة بها للغاية أصبحت في الوقت الحاضر مجرد حكاية بعيدة من تحطيم النوافذ وتفجيرات القنابل واللوحات المتضررة في صالات العرض العامة. ليكون هناك بعض العمل الحقيقي الذي يجب القيام به بعد أكثر من عام من التسكع العشوائي الذي كان كزيارات إنعاش للجرف المحبط بالساحل بعد سبات عاش على درك المستنقعات.

الصباحات منحتها لاختبارات المنحة الدراسية، استيقظ كل يوم عند السادسة صباحاً والعمل بانتظام حتى موعد الغداء في الغرفة الصغيرة الشمالية الغربية الباردة، تعرف باسم "غرفة الحياكة"، في الجزء الخلفي للمنزل. كانت في الطابق الأرضي حيث الظلام وكذلك البرد، لكن لم يسمح لي بإشعال النار للإهتمام بسبب بالخادمت، على الرغم من أننا أبقينا ثلاثة والبستاني. لكنني تكبدت بسرور يداي وقدماي المتجمدة من أجل الحصول على الخصوصية والهدوء الذي لا يمكن أن تعطيني له أي من غرف المعيشة المُستخدَمت في العادة .

الكتب كانت كالمعتاد مشكلة. المكتبة العامة يبدو لا شيء في مخزونها تم نشره منذ 1880، والمكاتب المحلية المنتشرة بالمطالب الحصرية لعمالها، جهزت بالقليل الآخر لكن وهم . لذا قضيت الجزء الأكبر من ذاك الخريف لتهيئة الحصص القليلة

من المؤلفات الضرورية لي فيلدنغ وجولد سميث، و وردزورثوتاريخ كامبريدج في الأدبالانجليزي. الأصدقاء والأقارب ساعدوني بعطلة الكريسماس بمجلات غير منظمة للنقد، تم اختيارها عشوائياً لكن بأفضل الغايات، شعراء لآكي لاند والنهضة الرومانسية، بعد الغداء الوخز المفعم بالحيوية لأطرافي الرياضية لحسن حظ صحتي للخروج من الأبواب لغولف أو

تنس بعد الظهيرة. من ذلك عدت إلى الصراع الذي في كثير من الأحيان بشكل قاس مع الرياضيات واللاتينية لبقية اليوم.

في بداية التعقيدات العثور على الرسوم الدراسية للمادتين كابوس بدا لي شبة مستحيل. فقد كانت المساعدة بطبيعة الحال غير متوقعة من المؤسسات التي تأسست من أجل الناس، بسبب المواد الخام ، من السيدات الشابات المؤهلات للزواج. الأزواج الشباب الواهنيين والخجلين من مدارس الأولاد الإعدادية المخففين في المعالجة. ربما أثبت وجهة نظري العقلانية راعي الأبرشية، لكن أيامه كانت مكتظة بالفعل وكان العديد من رجال الدين يفهمون التدرج الاجتماعي للغموض الأنجليكاني أفضل من الأخطار العلمية للرياضيات.

لقد بدأت بالفعل في التفكير في رحلة مملة مرتين أو ثلاثة أسبوعياً لمانشستر، والتي من شأنها أن تتصل كثيراً مع عملي للمنحة الدراسية، عندما تم حل مشكلة من قبل جارنا الذي يدير جمعية صغيرة لدفع الأولاد المتأخرين بقوة إلى ساند هيرست أو ولويتش. مالياً كانت مدرسة التدريب هذا دائماً على الصخر- وأي مخاوف كان من الممكن أن يشعر بها صاحبها حول الوجود الطارئ لشابة بين الطلاب خفيفي العقل كان قد التقمه في استرخاء بسبب احتمالية بعض الضرائب. تراوحت أعمار الشباب في عهده من سبعة عشر حتى حوالي ثلاثة وعشرين. حيث أن العشرات كان بينهم ما يكفي من الذكاء المنخفض لملاء رأس طفل طبيعي في السادسة من التلاميذ، يمكن أن نتصور أن التدريب متاح هناك لم يكن مميزاً جداً.

صاحب المدرسة، معرفة اجتماعية لنا، تبناي نفسه لأجل الرياضيات. كان صبوراً ومتأني ، لكنه ليس بالداهية في تجهيزات التمرين، ويمكن أن يكررها فقط بوهن، " الله نعم، فعلتها، أنت تعرفين!" رداً على إجاباتي المتكررة والهادئة بقسم صادق لدرجة أنني لم أفهم كل مسائل الجبر تقريباً التي وضعها قبلي. بالنسبة له، كان تلاميذه المشاغبين لديهم بعض الاحترام- الذي لم يكن،

ومع ذلك، لم يتم منحة لمساعد هالكلاسيكي المسن ، الذين كانوا يرتدون لحية، ويتحدثون بلثغة ، وكان لهم ألقاب مميزة مفعمين بالحيوية المفرطة التي لا يمكن أن تساعده على الإدارة القاسية للمراهقين الذين تحت مسؤوليته.

الساعات المملة التي أفضيها في الاستماع إلى هذه التعبيرات الفردية الغير جاذبة لمظهر رجل شاب لتكون روح الدعابة في أقصى حدودها. كان الحماس المفاجئ للكتب المرجعية على أرفف غرفة الصف مناسباً للاستيلاء عليها بمجرد بدأ تدريباتي، وبعدها يأتي واحداً تلو الآخر على فترات لاقتراض قاموس أو إرجاع موسوعة. الظواهر الخائفة غير القابلة للتصرف تتبع هذه الزيارات الدورية. أكوام الكتب الواقعة على الأرض منهارة، انهيار قطع الأثاث في ظروف غامضة، وفي أحد المرات يختبئ حاجز سحب ستارة النافذة للتدفق ببراعة "جوك ، أوقف البهجة".

بعد كل هذه الاضطرابات المترددة، يبدو معلمي مرتبكاً مثل كلب عجوز مُحير ، لكن لا يبدو أنه حدث أن ربط ذلك بالأولاد.